

روائع المسرح العالمي

٧٢

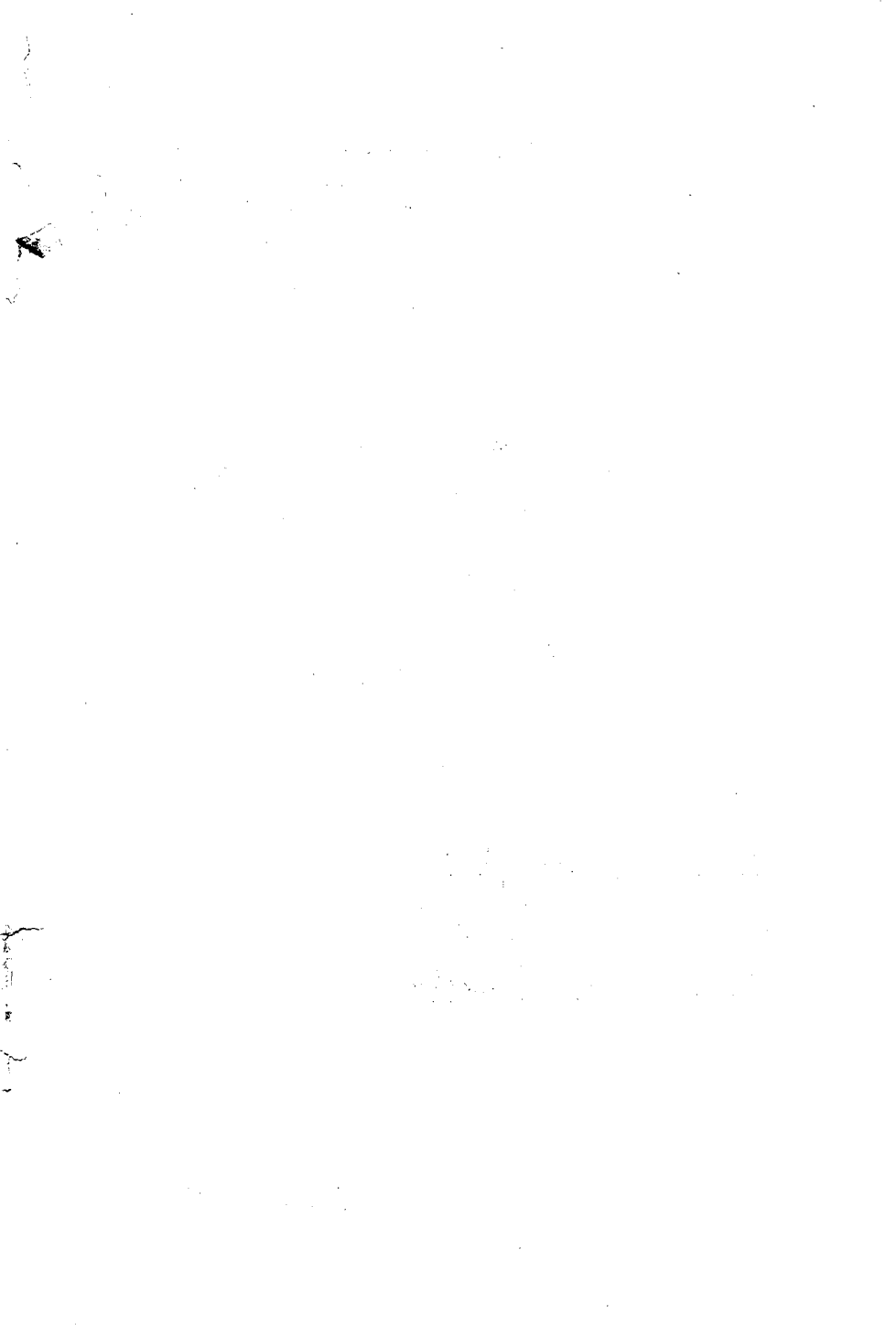
الطائر الأزرق

أحدوثه من عالم السحر
في ستة فصول

بقلم : موريس ميرلينك

ترجمة : يحيى صفى

مراجعة وتقديم : عبدالرحمن صديقي



مقدمة

موريس ميتزلنك
والمسرح الرمزي
١٨٦٢ - ١٩٤٩

موريس ميتزلنك - البلجيكي موطناً ، الفلامنكي محتداً ونسباً ،
الفرنسي مقاماً وقلماً وأدباً - شاعر من أبدع الشعراء في معانيه
وبيانه ، وحكيم من أكبر الحكماء في زمانه ، وهو غزير الانتاج
متنوعه ، تجمع مؤلفاته بين ما يستولى على عقول الخاصة من المفكرين ،
وما يؤثر في قلوب السواد من جمهور القارئین .

وتأييداً لهذه الصفة المميزة التي أوردناها في مستهل هذه
التقدمة ، نجد لزماً علينا ايراد الشواهد ، وتكفيها منها هنا لضيق
المقام الاشارة الى هذين المثالين من مؤلفات ميتزلنك ، وهما من جهة
الموضوع جيداً مختلفين .

الأول مبحث في التاريخ الطبيعي ، وهو كتابه عن « حياة النحل »
الذي ترجم الى جميع اللغات وتكرر طبعه مئات المرات ، والكتاب
صغير في حجمه ، ولكنه لا حدّ لسحره ، سواء عند المتخصصين
من العلماء ، أو من ليس لهم في هذا الخصوص ادعاء . والعجيب

فى أمره أنه حوى بين دفتيه من صميم حياة النحل أكثر مما تضمنته كتب البحث العلمى ، من غير أن يحمل مثلها طابع البحث العلمى • ولا خفاء فى أن السرف فى ذلك أن صاحب الكتاب حكيم وشاعر ، وقد صاحب النحل زهاء نصف قرن من الزمان لأنه من هواة تربيته ، فهو قد اعتمد فى كتابه على طول المشاهدة والدرس ، ولكنه فوق ذلك كان فى خلوصه الى الحقائق يتلقاها بقلب العاشق ، ويتعمقها بعقل الحكيم ، ويرويها بلسان الشاعر • فلا غرو أن يسحر القراء كافة بما يقوله كأنه نفت ساحر • وهو فى ذلك ما تعدى قول الحقيقة ، وإنما أفاض عليها من حماسه وشاعريته ، وعمق فهمه وسعة أفقه وصدق تشبيهاته ، ما جعل الحقيقة تبدو كالخيال عجيبة بديعة •

أما المثال الآخر فهو - كما سنرى - أبعد ما يكون عن البحث فى التاريخ الطبيعى ، لأنه مسرحية من بدائع الفن الرمزي ، وهى بعينها التى بين أيدينا : مسرحية « الطائر الأزرق » • وهذه المسرحية التى تعمّد المؤلف أن تكون على أسلوب قصص الجنّيات وهى المفروض أنها للأطفال ، تتضمن خلاصة فلسفته •

ولما كانت هذه الفلسفة للشاعر والكاتب والمؤلف المسرحى « موريس ميترنك » ، هى ثمرة تجاربه النفسية ومطالعاته وتأملاته الفلسفية حتى كتابة هذه المسرحية عام ١٩٠٨ وقد تجاوز وقتئذ الخامسة والأربعين ، فلا غنى عن لمحة خاطفة ولو كحرفة العين لمراجعة ما كان من أمره قبل أن يبلغ الى هذه المرحلة من عمره •

كان الشاب « موريس ميتزلنك » فى نحو الخامسة والعشرين من عمره ، حين أخرجت المطبعة بواكير مؤلفاته عام ١٨٨٩ ، وأولها مجموعة أشعار بعنوان « الأكنان الدافئة Serres Chaudes

طبعت منها مائة وخمسا وخمسين نسخة احدى دور النشر فى باريس . وهذه الأكنان تضم رقائق من الأزهار الشعرية لا تمت الى واقع الطبيعة ، بل هى نظائر لها يبلغ من لطفها وشفوفها أنها تبدو وكأنها أطياف فى المنام من نسج الأحلام ، ومثل هذه الأشعار كثيرا ما تشغل خاطر وتثير الشجون بما تنطوى عليه من الشعور الغامض والروح الحزين . وأمام هذا النزوع للخفاء والغموض ، والهروب من الواقع المبتذل المحدود ، مع غرابة التعبير من حيث التراكيب ، والترديد بالذات لبعض الجمل أو المفردات ، وتعتمد الايقاع الجديد ، لا يمكن أن يخفى على القارئ تعرف سمات ذلك الفريق من الشعراء الذى منه « جوستاف كاهن Gustave Kahn و « شارل موريس Charles Morice

و « لافورج Jules Laforge » وغيرهم من شباب الفنانين المتمين الى مدرسة الشعر الجديد ، مدرسة الرمزيين التى رفع لواءها « بودلير » و « مالاريه » و « رامبو » من مقدمى الأعلام المشهورين .

كذلك طبع الشاعر البلجيكي الشاب بعد أشهر من طبع مجموعة أشعاره فى باريس مسرحية بعنوان « الاميرة مالن »

« La Princesse Maleine

وقد تولى مع صديق له طبعها فى وطنه بلجيكا بمطبعة تدار باليد قام هو بادارة عجلتها فى حجرة مربعة صغيرة فى مكان كالاسطبل

ببلدته « غنت Ghent » ، وكانت هذه الطبعة خاصة لا يكاد يتجاوز عددها الثلاثين نسخة . ولكنه لم يلبث بعدها أن طبعها في المطبعة الصغيرة نفسها في حدود المائة والخمسين نسخة وهى الحد الأقصى الذى لم يكن يتعداه شباب الكتاب فى هذه المدينة القديمة تظاهرا بالدلال وتحديا لقلة الأقبال . وكان هذا العدد المحدود يدخل فى عداد ما يرسل عادة لنقاد الصحف والمجلات .

وكان المؤلف الشاب مقيما فى بيته الريفى فى ناحية (أوستاكر Austacker) بالقرب من « غنت » ، فاتفق - فى الرابع والعشرين من أغسطس عام ١٨٩٥ وهو جالس الى المائدة يتناول فطوره - أن جاءت جريدة الفيجارو الباريسية ، فاذا صفحتها الأولى مخصصة كلها لمقال بقلم ناقد الجريدة المسرحى الكاتب

المعروف « أوكتاف ميربو Octave Mirbeau » ، استهله بما يلى :
(انى لا أعرف شيئا عن « موريس ميتر لنك » ، لا أعرف من أين هو ، ولا كيف هو . لا أعرف ان كان شيخا كبير السن أو فتى فى ربيع العمر ، غنياً وافر المال أو فقيراً رقيق الحال ، لا أعرف . كل ما أعرف أنه ما من انسان يجهله الناس أكثر من جهلهم اياه ، كما أعرف فى الوقت نفسه أن هذا الانسان نفسه أتى بآية رائعة من الآيات ، آية ليست من قبيل هذا النوع الذى تعد له البطاقة مقدما باسم المعجزة من قبل ظهورها ، كتلك المعجزات التى يطالعنا بها كل آن أساتذتنا من الشبان ، فتتغنى باسمهم وتلمح

بذكرهم وتسبّح بحمدهم على كل نغم من الأنغام ، وبكل لحن من الألحان تلك القيّارة ' الحديثة ' الضخمة ، أو - بعبارة أصح - ذلك المزمار ' الصاحب الجبار : الصحافة • كلا ، انها معجزة من نوع آخر ، آية رائعة ، خالصة ، خالدة ، آية تكفى وحدها لتخليد اسم صاحبها ، وتقديس ذكره ، عند جميع المنهومين المتعطشين الى ما هو رائع وعظيم ، : آية كالتى حلم فى بعض الأحياء بتحقيقها الفنانون الشرفاء المعذبون فى لحظات الحماسة لفنهم ، ولكنهم لم يحققوها الى اليوم ، وأخيرا طلع علينا السيد « موريس ميسر لوك » بعمل من الأعمال الأدبية هو أعظم ما عرفه هذا العصر اصالة وعبقرية ، عمل يجمع بين أبدع الغرابة وأعذب البساطة ، حتى ليضارع بل أكاد أقول - اذا أسعفتى الجرأة - انه ليفوق فى روعة جماله أجل ما فى شكسبير • هذا العمل الأدبى مسرحية " اسمها « الأميرة مالاين » » •

قرأ الشاب البلجيكي مؤلف مسرحية « الأميرة مالاين » هذا المقال فى الصحيفة الفرنسية ، فلم يكذبته حتى أحس انفجار شئ فى نفسه ، انفجر سد من القلق كان لا محالة يضيق به صدره حين يساوره فيكاد يعترض انطلاق طبعه ، ويعوق دون انفساح مجراه ، وتدفق المحتبس من فيضه الى مدهاء ، والاطمئنان الى جدواه • ان ما قيل عنه فى صحف بلاده فى ذلك الحين قليل ولا يكاد عند حسن التقدير يعدو هذا القليل : « ذاك البصيص الصغير الذى يتألق فى الأفق ، لا يدرى أحد بعد أهو بصيص مصباح صغير أو نجم

بعيد » • أكان هذا القول وأمثاله في صحف بلاده من شأنه أن يبعث الثقة في نفس كاتب مجدّد يريد أن يستقيم على طريقه ويطمئن إلى حاله ؟ أين هذا من فورة الاعجاب في مقال الناقد الفرنسى الذى لم يكن ليفوقه مقال في حماسة الاستقبال حتى لقد خيل إلى والد المؤلف في دهشته من كل هذه المبالغة في الاحتفاء ، انها مقصودٌ بها إلى السخرية والاستهزاء بولده • ولكن المؤلف في واقع الأمر كان جديراً بالثناء ، وانما هى المبالغة وحدها كادت تفوت على القراء مدلولها وتفسد أثرها •

وفى اعتقادنا أنه على الرغم من ذهاب الناقد الفرنسى فى حماسه للمؤلف الشاب البلجيكى إلى حدّ المقارنة بينه وبين شكسبير أعظم شعراء العالم ، وتفضيله عليه مع الفارق الذى لا يُحدّ بين الاثنين ، فإننا نحمد على الأقلّ لذلك الناقد المتحمس أنه فى ذكره شكسبير فى معرض كلامه عن الباكورة الأولى لمسرح « ميترلنك » ، قد أسلما طرفاً من الخيط الذى يؤدى إلى استكشاف جانب هام فى تكوين ميترلنك نفسه ونشأة مسرحه •

ولقد كان مولد « موريس ميترلنك » فى التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٨٦٢ فى مدينة « غنت Ghent » الواقعة فى ملتقى النهرين (ليس - و - اسكو) بأقليم الفلمنك « Flandres » فيها كانت نشأته حتى تجاوز الخامسة والعشرين ، وهى مدينة قديمة من أجمع المدن لخصائص الاقليم ، تتحدث جدرانها المسودة من قدمها بالماضى الحافل بالحياة المزدهم بالذكريات ، كما تُشتم

رائحة الموت والانحلال من الرطوبة المنبعثة من ذلك العدد العديد من القنوات • ثم هى أعمر ما تكون بالأديرة والمصانع فى وقت معاً ، فهى مدينة أهل الصناعة العاملين وأهل الله المتصوفة الزاهدين • فلا غرو أن يكون لهذا الاقليم ، بجوه المعتم القاتم وبيئته الحسية الصافية ، مالا بد منه من الأثر الذى يتفاوت بحسب الملابس ، فى حساسية الأجيال المتعاقبة •

ولا بأس من أن نستشهد هنا بما يعرفه الجميع عن حياة كبير من أشهر مشاهير التاريخ من مواليد مدينة « غنت » نفسها ، وهو الامبراطور شارل كان الذى اجتمع له فى العالمين القديم والجديد عظمة الملك الواسع الذى لا تغرب عنه الشمس ، وجبروت الحاكم المطلق الذى لامعقب عليه ، ومظاهر السلطان الذى ليس كمثل سلطان ، فنزل فى عام ١٥٥٦ عن هذا جميعه ايثاراً لحياة النسك فى دير « يوست Yuste » غربى اسبانيا ، وفى هذا الدير طلب قبل وفاته أن تُقام شعائر جنازته أمام عينيه فى حياته •

هذا المزاج بعينه هو المزاج الغالب على احساس «موريس ميسر لنك» وتفكيره ، فى شعره وفى مسرحه وسائر مصنفاته على تعدد مباحثه واختلاف موضوعاته • ولما كان مدار الحديث هنا على مسرحه ، فلا مندوحة من قصر الكلام على مسرحياته • وحسبنا لكى نبلغ الغاية أن نراجع مسرحياته الأولى ، الطوال منها والقصار ، كلها أو بعضها ، لنرى هل الحياة فيها ما برحت على تكرارها هى الحكاية نفسها ، حكاية يحكيها أبله معتوه ، كلها ضجيج وصخب ، ولا طائل من ورائها غير العذاب والتعب ، ثم يطوى الردي أبطالها دون أن

يعرفوا سرها أو يجدوا معنى لها ؟ وهؤلاء الأبطال الفنانون ،
أثرهم أجيالا بعد أجيال ، حين يسلكون مرحلة الحياة قصيرة كانت
أو طويلة ، يسلكونها أجمعون عياناً كانوا أو مبصرين ، كالساري
الذي طال في الليل سراد يردد هذا القول أو ما في معناه ، « أنا
الإنسان التائه لا يدرى أين هو ذاهب » ؟

أجل انها جميعا نفس المأساة ، مأساة القدر المتحكم في الحياة
كلها ، في سائر أمورها صغيرها وكبيرها ، ليسلم الحياة - كل حياة -
آخر الأمر الى الموت الراصد منذ الصغر لها ، المتربص بها ،
وهي أبدا شاعرة به وهو يحوم حولها ، متوجسة منه ، متجنبه له .
وقد تحاول الحياة تناسي الموت والتغفل عنه ، ولكنه لا ينساها
ولا يغفل عنها لحظة ، حتى تحين الساعة فيخمد أنفاسها وينتزع
روحها ، سيان كانت على انفراد وحدها ، أو بين أهلها وأحبائها
أو وسط الألوف المؤلفة المحتاجة اليها المتعلقة بها :

فهذه « الأميرة مالين » - في أولى مسرحيات « ميترك » - صبية
كالزهرة الجنية في رقتها وحسنها وبراعتها ، وهي وحدها بالليل
في حجرتها ، ولكنها مسهدة قلقه ، تحس أن خطرا تجهله يهددها ،
وفي الواقع كان هنالك قتلة لا تعرفهم ائتمروا لسبب لا تعرفه على
قتل الأميرة الصغيرة ، انهم على السلم السري المؤدى الى باب خفي
في جدار من جدران حجراتها . انها تجهل كل شيء عن
هذا الممر الخفي ، وتجهل أمر القتلة كل الجهل ، ولكنها تعرف
أنها الليلة هالكة ، تحس أن الموت قريب منها . أهى تلك الخطوة

البعيدة التى خيل اليها أنها سمعتها ؟ لكم سمعت ° مثلها كل ليلة فى نواحي القصر • ولكنها فى هذه الليلة رهبة " مخيفة " ، مروعة كأنما تؤذّن بالشر • ان هذا الشر آت لا محالة • انها لتشعر بوجود غير منظور ، غير منظور ، ولكنه حقيقى الى حد فطيع ، انه يرعبها فيجمد الدم فى عروقها • ويطول موقف الأميرة على هذه الحال ، فاذا بنا نعيش فى عالم الخوف معها ، لا اشفاقا عليها من القتلة المؤتمرين على قتلها ، بل على أنفسنا من الأقدار ، من القوى المجهولة التى تتصرف بنا وتسوقنا كما شئت ، والى حيث شئت دون ارادتنا ومن غير علمنا •

هذه المسرحية « مالين » من الناحية الزمنية أولى مسرحيات « ميتر لنك » ، وقد كان تأليفه لها تحت سماء بلدته قبل النزوح الى باريس ، وهى - على ما فيها من التردد الطبيعى - بمثابة النموذج الأول لما سيأتى فى أعقابها من عمل مسرحى ، فنحن واجدون فيها ذلك الاطار من المناظر التى يخلع عليها المؤلف مسحة خيالية لا تخلو من الغرابة والغموض ، بحيث يبدو المكان كأنه فى بلاد أسطورية مع شعورنا بحقيقته الواقعية • وهنا تطلعا البحيرات هادئة ساكنة تكتنفها الغابات ذوات الأشجار العالية الساهمة ، وعلى مسافة منها القصور القديمة ، دهاليزها وأسرابها لا آخر لها ، وأقبأوها الضخام الثقيلة كأنها على النفس جائمة ، ومقاصيرها كثيرة الشقوق متآكلة من فرط الرطوبة ، وحدائقها المهملة ملتفة الشجر كثيفة الورق مظلمة • والصروح المحصنة بأبهاؤها الفاخرة المتهدمة ، العامرة الموحشة ،

تعيد الى الذاكرة ذكريات ما شهدته فى الأجيال المتعاقبة من ضروب التعذيب وفظائع الجرائم ، مما أوقع الروح لا محالة فى نفوس ساكنيها صغارهم وكبارهم ، فهم نهب الهواجس والمخاوف يشتركون فيها ، على الرغم من قلة التفاهم بينهم للفارق الكبير بين أعمارهم .. والى هذا كثير من أمثاله ، وجميعه مما استوحاه المؤلف من مشاهد بلدته القديمة ، وما أفاده من خلال مطالعته وزاد عليه من تخيلاته .

فى هذه المسرحية التى لم يفكر مسرح فى تمثيلها ، تظهر محاكاة « متر لك » لشكسبير فى كثرة المناظر وتعددها فى كل فصل من فصولها ، وفى ازدحامها بالشخصيات الملكية ، وذلك المزاج بين العناصر الفاجعة والعناصر المضحكة ، وفى الغراميات المتعارضة ، وكل هذه التنبؤات والتذمر قبل المقتلة الختامية .

ولكن هذه المحاكاة للمواقف تقف عند حد الظاهر ، لأن «متر لك» فى عرضه شخوص المسرحية وأحداثها لا يقصد الى واقعيتها ، فقد كان غير مؤمن بالفن الواقعى ، بل هو راسخ العقيدة بأن الواقعية فى عصره قد أخفقت ، ويرجع اخفاقها الى أنها اتجهت شطر صغار الحقائق - تلك الحقائق اليومية الغثة الهزيلة التى لا كنه لها ، ولا كبير طائل وراءها - بدلا من أن تحاول الاتصال بالحقيقة الكبرى ، تلك الحقيقة الكامنة المستكنة وراء الأشياء كلها ، أو بعبارة أخرى « تلك القوى الخفية » ، وبأوجز لفظ « ذلك المجهول » فهو وحده الذى يعنى الفنان الرمزي بحيث لا يمل ذكره ، ولا يستهويه غيره ، ولا تشغله الظواهر عن أمره ومحاولة استكناه سره .

من أجل ذلك لا يكون من المستغرب أن مثير لنك - أو شكسبير
البليجيكي على حد ما سماء « ميربو » فى مقاله الحماسى - لم يلبث
أن أدرك أنه فى غير حاجة الى أصحاب العروش ذوى الهامات المتوجة،
ومن حولهم الأُمراء والحاشية ، وكل ما هنالك - فى مسرحية
مالين - من تلك العناصر الكثيرة المتنوعة ، فضلاً عن ذلك التفنن فى
ابتداع الموضوعات الفاجعة • نعم أدرك مثير لنك أنه فى غير حاجة
الى جميع هذا ، إذ أن أبسط الحوادث العادية فى الحياة اليومية يغنى
عنه ، وقد يكون أعمق أثراً منه بل أوفى بالغرض لبلوغ المؤلف
ما يريد فى مسرحه الرمضى من اشعار الجمهور بما وراء الأشياء
والأحداث من القوى الخفية أو سلطان القدر ، أو بالاختصار
ما ينطوى تحت لفظ « المجهول » •

وعلى هذا جرى المؤلف فى مسرحياته التالية ، وهى قصار فى
الغالب الأعم •

ونذكر من تلك المسرحيات القصار مسرحية « الدخيل » من
فصل واحد ومن منظر واحد وهو غرفة مظلمة فى قصر قديم ،
حيث يجتمع أشخاص المسرحية وهم الجد الضريع ، والأب والعم
والبنات الثلاث ، ولا يُضىء الغرفة غير مصباح واحد ضوءه خافت ،
والكل فيها يتهمسون بصوت خافت كذلك ، وهم جميعاً واجمون
مسهدون • وفى غرفة مجاورة ترقد تلك التى يفكرون فيها وغنها
يتهمسون ، المريضة التى يتهدد الخطر حياتها ، ومن أجلها كان
اجتماع هؤلاء ومحاولتهم أن يطمئن بعضهم بعضاً ، ومن هذا القليل

ما كان يدور من المقال بين العم والأب : « ان طلعتها تبدو منذ العصر على أحسن ما يرام ، وهى تنام نوما عميقا الآن ، فهل ترائنا تنفص على أنفسنا أول ليلة طيبة أتاحها الحظ لنا . من رأى أنه يحق لنا أن نستريح ، بل أن نضحك هذا المساء ولا نخشى شيئا » .

ولكن الجد الضرير كان يستبد به القلق ، فلم يكن ليهديء من روعه شيء . لم يكن يعنيه ما يقوله الآخرون . ذلك أنهم مبصرون ، والواقع الذى يبصرونه يحول بينهم ورؤية الحق . أما هو فقد حجب العمى عن عينيه عالم الظواهر ، فأصبح اتصاله بالعالم عن طريق الحواس الباطنة . انه الوحيد الذى كشف العمى عن بصيرته ، فهو يرى قبل سواه كل شيء على حقيقته . انه يحس بالخطر يزداد ، والأجل يدنو من المريضة سريع الخطوات ومنذ هذه اللحظة تتركز المأساة كلها فى الشيخ العجوز ، فى تبايرح لوعته التى تنعكس فى ازدياد واشتداد على طلعه ، ويضعف الأثر ما يشيع فى جو الغرفة من دواعى الفزع متوافداً من خارجها متصاعداً من أرضها ، فثمة عصفه من الريح تهب ثم تسكن ، وشدو البلابل ينقطع ويسكت ، ووقع خطوات خاطفة مرقت فى الحديقة ، ولمحة من البستاني وهو يشحذ تحت جناح الليل منجله ، وعشرات من التفاصيل لو سنحت متفرقة لما كان يؤبه لها ، ولكن تكرارها متلاحقة تألف منه وعيد وتهديد بالخطر . عندئذ لم يستطع الجد الضرير الا اظهار الفزع ، حتى اذا جاءت لحظة أحس فيها الجد الضرير بين

المجتمعين بوجودٍ لم يشعروا هم بوجوده ، ندّت منه الصرخة
المخنوقة • وفجأةً يفتح الباب ويفغر الغرفة فيض "مباغت من
ضياء • وتدخل ممرضة من الراهبات وترسم على صدرها إشارة
الصليب التي يستدل منها أن المريض مات •

ومع هذه المسرحية نشر المؤلف فى سنة ١٨٩٠ مسرحية أخرى
مثلها عدد شخصها اثنا عشر ، ستة رجال وست نساء وكلهم
عميان ، ومن هنا سميت « العميان » • وهؤلاء الخلق من العميان
نراهم فى الظلام وحدهم فى غابة من غابات الشمال تبدو عريقة فى
القدم كأنها كانت هنا منذ الأزل ، ومن فوقهم سماء غائرة النجوم ،
وهم ينتظرون ، ينتظرون من غير أمل ، ولكنهم مع ذلك ينتظرون •
انهم فى انتظار قس ، رجل الله ومبعوث العناية ، انه نورهم الهادى
ودليلهم المرشد ، لقد كان يتقدمهم ويقودهم ، ثم غاب عنهم وطال
غيابه • وانهم ليتحسسون طريقهم فى الغابة بحثا عنه ، وفجأة يقع
فى روعهم شعور مبهم تقشعر منه أبدانهم ، شعور بوجود شيء
غريب عنهم لا يبصرونه ولكنه قريب • ولم يكذبهم حدسهم • انه
الموت ، فهناك عند جذع الشجرة أسند القس ظهره جثة هامدة •

والمؤلف مع هذه الصدمة القاصمة يشعر بأن مقصده الأخير
ليس هو الدعوة الى اليأس ، يأس الانسانية من جدوى السعى
والأمل فى الهداية الى سواء السبيل ، فانه على رغم ذلك الاخفاق
والفشل يشير الى استمرار الانسانية فى الأمل ، فان الستار ينزل
على أبطال مسرحيته « العميان » وهم لا يزالون ينتظرون •

هذا بعينه هو الذى مكن لمسرحيات « ميتر لنك » ، على ما فى
حتمية واقعها الموحش المظلم اليائس المؤلم من رهبة وقسوة ، أن
تستهويننا بما لا ينفك يغمرها من فيض الحيوية وبهجة التضارة
الفتية لفرط ايمان المؤلف بالحياة ، وعمق شعوره بتلك الغريزة
الكونية ، غريزة الحياة الغالبة القوية التى أورثت سائر الاحياء
ما فيهم من قوة الجلد والعناد ، كالذى نشهده فى النملة الصاعدة على
العود وهى تسقط مائة مرة ، وفى كل مرة تعاود الصعود ...
أو مثل ذلك الانسان الذى حكمت عليه الالهة أن يدفع الحجر
الكبير الى أعلى الجبل ، فلا يزال الحجر كلما بلغ به الى قمة الجبل
يتدحرج الى أسفل ، وهو ماض مع ذلك فى تأدية العمل الموكول اليه .
ذلك أن الحياة لم تكن منذ كانت الا كذلك بطبيعتها ، وهذه ارادتها .
ولا يكون الحى حيا حفل حياته الا اذا استجاب - طائعا أو كارها -
لغريزتها ، وعمل بارادتها وان جهل غايتها .

ولكن هذا كله لم يكن ليحجب عن « ميتر لنك » خاطر الموت ،
فقد كان هذا الخاطر يلزمه منذ حداته فلم يكف عن التحدث عن
الموت فى شعره وفى مسرحياته وسائر كتاباته ، بصريح الاسم تارة ،
وتارات أخرى بمختلف الكفايات ، وجملته ما يقال آخر الأمر أن
الموت كان عند « ميتر لنك » موضوع تفكيره طوال العمر ، وأنه
قضى السبعة والثمانين عاما من حياته وهو فى انتظار لقائه ، لقاء ذلك
الصاحب المجهول وجها لوجه .

ومع ذلك فقد وقعت فى حياة « ميتر لنك » بعض تغييرات مادية

وأخرى وجدانية يمكن أن يُرَدَّ إليها ما يلاحظ على مسرحياته
التالية من تسرّب نوع من الرجاء ، كالشّعشع من الضياء في
الدليل الحالّ •

ونذكر من تلك التغيرات المادية في ظروف حياته انتقاله من جو
الشمال البلجيكي الغائم القاتم ، الى الجنوب الفرنسي المشرق الباسم
في مدينة نيس أو على مقربة منها حيث كان يقضى معظم العام على
ساحل البحر الأبيض المتوسط •

ولكن هذا التأثير المادى لا يذكر الى جانب التأثير الوجدانى ،
ونعنى به تأثير المرأة ، وبعبارة أدق وألطف : الحب •

كان ميتر لك لا يزال مقيماً في اقليمه الفلمنكى في بلجيكا حين
التقى في العاصمة البلجيكية في احدى الليالى بالمرأة التى أصبحت
رفيقة حياته ونجية نفسه وموضع سره نحواً من العشرين عاماً ،
وهى السيدة الفنانة « جورجيت لبلان » *Georgette Leblanc*
وكانت في ذلك الحين تغنى « تاييس » و « كارمن » وغيرهما من
الأوبرات فى التياترو الملكى فى ميدان لاموناى *Place de la Monnaie*
الذى تحف به المقاهى والمطاعم على مختلف أنواعها ويعتبر مركز
الملاهى فى العاصمة • وقد اتفق هذا اللقاء فى دار محام من المحامين
الكبار مشهور بدعوته الى التجديد فى الأدب البلجيكي ، وكان
الشاب ميتر لك يزاول فى مكتبه المران على المخامة على كره منه
نزولا على ارادة والديه ، وكان صاحب الدار قد أعدّ مأدبة عشاء

عنده تقام بعد الحفلة التمثيلية التى قدم فيها مسرح دى بارك
Theatre du Parc مسرحية « الأب » للأديب السويدى استرنبرج
Strindberg وكان مثير لىك من المدعوين الى هذه المأدبة ،
فترك التحل فى بلدته تلبية للدعوة ، فهو كعادته ، سيماء الجند
على سحنه ، يلتزم الصمت ويبدو كالحالم ، مع شىء من الشعور
بالقلق وعدم الارتياح كشأنه فى المدينة . ولم يكن هذا الصوت
الوقور المستغرق فى التفكير ليخطر فى باله أنه فى هذه الليلة سيلقى
فى شخص امرأة ممتازة مرموقة هى الفنانة جورجيت بلان ماأعده
له المقدور . وكانت القاعة على حين بغتة قد سادت عليها لحظة صمت
عميق ، فاذا بها قد طلعت على الحضور ، وهى تمشى الهوينى
متخطرة متهادية ، وعلى جبينها حلية من الذهب كأنها شارة
السلطنة ، ومن ورائها ينسحب ثوبها المجرور الذى يشنّف الأسماع
بحفيف الحرير ، وقد قام صاحب الدار بينهما بواجب التعريف ،
فبدرت منها عند تقديمه لها صيحة "مقتضبة خفيفة" ، أما هو فقد رفع
كالقروى بصره اليها مرتبكا ، وأحنى لها صعدته فى غير لباقة ،
على حين ردت له التحية بانحناءة من تلك الانحناءات العميقة
التقليدية ، بدت فيها وكأنها الملكة الشابة اليزنطية من لطف
تأديتها المراسم الملكية ، متمعدة أن تضع فى هذه الحركة كل براعتها
التمثيلية ، لتكون منها بمثابة تحية الفن للفن .

وفى أثناء العشاء كان مثير لىك يطيل النظر اليها دون أن يخوض
فى الحديث معها .

وكان مِتر لَنك حين تم التعارف بينه وبين جورجيت لبلان مؤلفا
موفور الشهرة ، عامر البدن بالعافية والصحة : ميسور الحال لايَعوزُه
المال ، ومع ذلك فان هذا الرجل الذي أنعم عليه بكل هذه الخيرات
كان في دخيلة نفسه يعيش طول وقته مع الموت والخوف والملل .
ولقد دعا الفئانة الحسنة الى بلدته « غنت » حيث أولم لها وليمة
فاخرة على الطريقة القلمنيكية ، ثم خرجا للنزهة في الشوارع الغائمة
القائمة المكشبة ، وكان مِتر لَنك قليل الكلام ، ولكنه أفضى مع ذلك
بجوهر الكلام ولبابه ، قال : « انى غير مؤمن لبالسعادة ولا بالحب » .
فاحتفظت المرأة بهذا التصريح فى سويداء قلبها ، وآلت على نفسها
لتعلمنه ذلك الفن الشاق ، فن التسليم للحياة والاطمئنان اليها
والتعويل عليها . فما انقضى القليل حتى كان قد كتب مسرحية
تختلف عما سبقها كل الاختلاف ، مسرحية لم يَعدْ يعصف فيها
عاصفُ الجزع والخوف ، بل يسرى فيها نسيم الأمل والرجاء .

لقد كان مِتر لَنك لا همَّ له فى مسرحياته الا تمثيل القدر المحتوم
على البشر فى صور الشقاء والعذاب والموت وهى مقبلة علينا الواحد
بعد الآخر فى خُطى ثابتة لا شىء يثنىها ويفت فى عزيمتها
أو يعتاق سيرتها أو يقف فى مواجهتها فيسدّ طريقها ويحول بينها
وبين فريستها ، كانت هذه الفكرة مستبدة به مهيمنة عليه فى
المرحلة الأولى من تفكيره الفلسفى ، فاذا به فى المرحلة الثانية ينفض
عنه هذا التسليم للقدر ، ويتحدث عن الصراع غير مكثف فيه بما
كان من ذلك التخبُّط السلبي ، تخبُّط العاجز ، الشاعر بمعجزه فى

قبضة القدر • بل الصراع الحقيقى عفى مستوى البشر بين بعضهم البعض ، والصراع الايجابى بينهم وبين القدر على الرغم من علمهم بأن القوى غير متعادلة • ولا عليهم من ألا يكون لهم النصر فى آخر الأمر • ويظهر هذا الصراع واضحاً فى مسرحية « أجلافين وسليزيت » Aglavine et Sélysette عام ١٨٩٦ حيث يقوم الصراع بين المرأتين على رجل هو ميلاندر Méleandre وهو صراع كأشد ما يكون الصراع الحقيقى ، ولكن كفة احدهما لا تلبث أن ترجع على كفة الأخرى لأن العلائق التى تربط بين « سليزيت » وهذا الرجل ليست نسبياً الا علائق سطحية على المستوى البشرى ، فى حين يزداد ما يربط المرأة الأخرى « أجلافين » بهذا الرجل توثقاً واشتداداً فى قوة الارتباط ، وتأنثاً وايغالا فى الأعماق • وذلك أن انجذاب كل من الاثنتين - هذا الرجل وهذه المرأة بالذات - الى الآخر غير مقصور على رغبتهما البشرية ، بل من ورائها قوة " خفية " أقوى منهما : هى تلك الجاذبية الميتافيزيقية التى لا نعرف كنهها ولا نملك ردّها ، ولا نستطيع غير الانقياد لها والنزول على أمرها •

ولا تحسبنا مخطئين اذا رأينا فى شخصية « أجلافين » شخص الفنانة « جورجيت بلان » ، فقد كان لقاؤهما على النحو الذى جاء وصفه فى المسرحية تماماً فهما - كما جاء فى المسرحية - سواء فى المواجهة الأولى على غير موعد ، أو فى الموعد الأول - لم يتبادلا الا أبسط الكلمات وأكثرها تداولاً بين عموم الناس ، فاذا بهما - مع ذلك -

يشعران بأنهما لاغنيّ لأحدهما عن الآخر ، ولا حياة له بغير صاحبه ، وقد بلغت قمة الجذب بينهما أن دامت صحبتهما نحواً من العشرين سنة . ولقد حرص المؤلف فى اثر تأليفه لهذه المسرحية على الكتابة الى الفنانة يحدّثها عن بطلته الجديدة ، فيقول هذا الذى قال فى أول حديث بينهما : «انى غير مؤمن لا بالسعادة ولا بالحب» •• يقول اليوم (لقد حملت الى « أجلافين » مالا عهد لى به • جوّ جديد وارادةٌ للسعادة وقوة على الرجاء) •

ومنذ ذلك الحين دخل التغيير على مؤلفات مِتر لنك المسرحية وغير المسرحية ، حتى يشعر القارئ لهذه المؤلفات بالنقلة المفاجئة من الجو القاتم المتلبّد بالضباب الى جو آخر تمزق ضبابه فعرّف الاشراق ودخل اليه النور مُشعّشعاً هنا وهناك فى الآفاق ، وكشفت الأرض لنا عن بدائع ودائعها وأنفس كنوزها ، فاكست بالزهر والريحان من مختلف الألوان ، وأخرجت لنا الأيام أبطالاً وبطلات أقلّ خوفاً من الحياة وأكثر شجاعة وهمّة •

ولا نقصد بهذا القول الى أن مِتر لنك قد تخلّى عن فلسفته وعن تفكيره الدائم فى القدر والموت • كلا ، فان الشئ الذى تغير لم يكن هو القدر والموت ، وانما هو نظرة مِتر لنك اليهما وطابع شعوره بهما ولون تفكيره فيهما ، حتى لنرى مؤلفنا المسرحى أميل الى جعل الشقاء والعذاب والموت فى خلفية المسرح ، وعرض ارادة الحياة ونشيدان السعادة فى مقدمته •

وحسبنا للتحقيق من ذلك جميعه أن نقابل بين المسرحيات التى طلع بها علينا المؤلف فى السنوات العشر الأخيرة فى القرن الغابر وهى مسرحيات المرحلة الأولى التى قدمنا للقراء عرضا موجزا لموضوعها ، وبين أشهر وأبدع مسرحياته فى أوائل القرن الحاضر ، وهى « الطائر الأزرق » التى نستأذن القراء فى أن نغنيهم من ايراد خلاصتها فهى لا تغنى عن الاستمتاع الكامل بقراءتها فى الترجمة التى بين أيدينا •

وهذه المسرحية التى ضمّنها ميترلنك ما بلغه وهو فى طور النضج من تطور فى النظر والشعور والفلسفة ، قد شاء له هذه المرة فنه - كما أشرنا فى مستهل كلامنا - أن يصبها فى قالب قصة من قصص الجنيات • وقد يبدو هذا من عجيب الأمر • ولكن الأعجب هو أن المؤلف الفنان ، بما حقق فى هذه المسرحية من نجاح لم يتحقق له فى غيرها ، أقام الدليل على أن هذا الأسلوب هو أسلوبها ، هو الأسلوب الذى يناسب ما أراد عرضه على المسرح من بحث عن السعادة ، تلك الضالة المشوذة التى افتقدها فى الطبيعة أبناء الأرض ، وهؤلاء هم - فى المسرحية - يبحثون عنها فيما وراء الطبيعة على نحو رمزى بديع شاعرى لا يثقل على النفس ، بل يثير الخيال ويسكر الحس ، وعن طريق الجمال والخيال يوقظ الذهن والتفكير •

ومسرحية الطائر الأزرق من خمسة فصول فى عشر لوحات وقد كان أول عرض لها على المسرح فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٨ بالمسرح الفنى فى موسكو ، ثم صدرت طبعتها الأولى فى باريس

عام ١٩٠٩ ، ثم مثلت فى ترجمتها الانجليزية على مسرح هايماركت Haymarket فى لندن فى ٨ ديسمبر عام ١٩١٠ ولقد شجع نجاح تمثيلها فى الخارج على استقبال المسارح الفرنسية لها فكان أول المسارح التى فتحت لها أبوابها مسرح ريجان (وهو اليوم مسرح باريس) فى الثانى من مارس سنة ١٩١١ وهى السنة التى حصل فيه على جائزة نوبل .

وبعد ما قدمناه من التعريف الوافى بهذا المؤلف من أعلام المسرح الرمزي «موريس ميتزلنك» وتحليل مسرحياته الرمزية فى المرحلة الأولى ثم فى المرحلة التالية، مع عرض سريع للفكرة التى قامت عليها أشهر وأبدع مسرحياته الأخيرة ؛ وهى «الطائر الأزرق» ، نرى لزما علينا أن نحى الكاتب الروائى العربى الأستاذ يحيى حقى على ما اضطلع به من هذا التعريب الدقيق البليغ للمسرحية التى بين أيدينا ، مع الحفاظ على خصائصها الجامعة بين الفلسفة والتصوف وروح الطفولة ، حتى جاء تعريبه للنصوص من واقع أصلها ، من حيث الأمانة فى نقلها وحسن المطابقة لها ، كصورة الحساء فى مرآتها فاليه نرف تحيات الشكر والتقدير على لسان قرائها .

عبد الرحمن صدقي

الفصل الأول

الطائر الأزرق

١ - المنظر الأول : كوخ الحطاب

(المسرح على هيئة كوخ خطاب من الداخل ، بسيط المظهر ، ريفي البناء والمتاع ولكنه لا ينم بحال عن تعاسة العوز والفاقة ، مدفأة مستورة لأنها محفورة داخل الجدار ، بها حطب نغست ناره ، آنية مطبخ ، صوان ، صندوق لحفظ الخبز ، ساعة طويلة مورثة عن الأجداد ، تعمل بثقالين ، عجلة مغزل ، حوض للغسيل الخ الخ ، مصباح مضيء على منضدة ، أمام الصوان كلب فى جانب وهرة فى الجانب الآخر ، كلاهما يرقد وقد تقبض جسده وجمع أنفه الى ذيله ، وبين الاثنين قمع سكر كبير ملون بالتناوب بالأبيض والأزرق ، قفص مستدير مثبت على الجدار ، به عصفور ، فى غيابة الكوخ نافذتان ، خصاصهما مغلق ، تحت إحدى النافذتين دكة من الخشب ، على اليسار : الباب الأمامى للكوخ ، عليه مزلاج كبير ، باب آخر على اليمين ، سلم يئوى من الخشب ، يؤدى الى المخزن ، على اليمين أيضا مهدان من الخشب ، على رأسيهما كرسيان فوقهما ثياب مطبقة بعناية .

عند رفع الستار نرى الولد « تيلتيل » والبنت « ميتيل » يغطان فى سبات عميق فى مهديهما ، « ماما تيل » تحبك الغطاء حولهما وتنحنى عليهما تتأملهما لحظة وهما نائمان ، ثم تشير الى « بابا تيل » وقد أبرز رأسه من الباب الموارب ، فتضع « ماما تيل » سبابتها على فمها لتفرض عليه بالأشارة التزام الصمت ، ثم تخرج الى اليمين وهى تمشى على أطراف أصابعها ، وكانت قد أطفأت المصباح أولا ، يغرق المسرح فى الظلام برهة وجيزة ، ثم يتسلل من خصاص النافذتين نور يزداد توهجه ، يضاء المصباح ثانية من تلقاء ذاته ، ولكن بنور يختلف عن نوره حين أطفأته « ماما تيل » - ثم اذا بالطفلين كأنهما قد استيقظا وجلسا فى مهديهما) .

تيلتيل : ميتيل ! (١)

ميتيل : تيلتيل ! (١)

هو : أنائمة أنت ؟

هى : وأنت ؟

هو : كلا وها أنذا أكلمك فكيف أكون نائما .

هى : قل لى ، هل اليوم هو يوم يجىء عيد الميلاد ؟

هو : لم يحن مجيئه بعد ، ان موعده غدا ، ولكن عمنا العيد لن يأتى لنا بشىء هذه السنة .

هى : ولماذا ؟

هو : سمعت أمى تقول انها لم تستطع الذهاب

للمدينة لتلفت نظره الينا ، ولكنه سيأتى فى السنة القادمة .

هى : أبعد موعده فى السنة القادمة ؟

هو : لا أقول انه جد قريب ، ولكن عمنا العيد سيأتى الليلة الى الأطفال الأغنياء .

هى : حقا ؟

(١) اختصار للأسماء المتشابهة رأينا الإشارة الى تيلتيل فيما بعد بكلمة (هو) والى ميتيل بكلمة (هى) .

هو : أنظري ، قد نسيت أننا أن تطفئ المصباح ، عندي
فكرة ...

هي : ما هي ؟

هو : هيا بنا نقوم من فراشنا .

هي : هذا مُحَرَّم علينا .

هو : لا خير ، فما من أحد يرقبنا ، أترين خصائص
نوافذنا ؟

هي : ما أبهى النور الذى يتخلله .

هو : انه نور الحفل .

هي : أى حفل هو ؟

هو : أمامنا ، عند الأطفال الأغنياء ، انها شجرة عيد
الميلاد ، سنفتح النافذة .

هي : أمباح لنا أن نفعل هذا ؟

هو : أى نعم ، ما دمنا وحدنا . أسمعنا الموسيقى ؟
فلتنهض !

(ينهضان ويجريان الى احدى النافذتين
ويصعدان فوق الدكة ، ويدفعان مصراعى
النافذة فيعم الحجرة نور ساطع ، يتطلع
الاثنان بشغف للخارج) .

- تيليل : ملكنا رؤية كل شيء •
- ميتيل : (وقدمها لا يفوز الا بوقفة غير مطمئنة على حافية الدكة) أمّا أنا فلا أرى شيئا •
- هو : الثلج ينهمر ، أرى عربتين تجرّ كُلاًّ منهما ستة جياد •
- هي : وينزل منها اثنا عشر صيّا •
- هو : يا لك من مغفلة ! انهن بنات •
- هي : لا أرى الا سراويل تلفّ السيقان •
- هو : نعم الخبيرة أنت بلبس البنات والصيّا ! لا تدفعينى هكذا •
- هي : لم ألسك •
- هو : (وهو يحتكر الدكة لنفسه) أنت تحتلين الدكة كلها بمفردك •
- هي : كيف وأنا لا أجد فوقها موصعا لقدمي •
- هو : الزمي الصمت اذن ، انى أرى الشجرة •
- هي : أىّ شجرة تعنى ؟
- هو : شجرة عيد الميلاد ، أنت لا ترينها لأنّ نظرتك مصوّبة للجدار •

- هي : هي كذلك لأنه لم يبق لي مكان فوق الدكة •
- هو : (وهو يتخلى لها بشحّ عن طرف من الدكة)
الآن هل اطمانت وفتكت وفزت عليّ ؟ يا لها
من أنوار فوق أنوار •
- هي : ماذا يفعل هؤلاء القوم الذين يثيرون كل هذه
الضجة ؟
- هو : انهم يعزفون الموسيقى •
- هي : أهم في حدة من الغضب ؟
- هو : كلا ، وانما عملهم مرهق •
- هي : ها هي ذى عربة أخرى تجرّها جياذ بيض •
- هو : الزمى الصمت واكتفى بالنظر •
- هي : ما هذه الحلية المذهبة المعلقة بالخصون ؟
- هو : انها لعب ولا ريب ، سيوف وبنادق ، وجند
ومدافع •
- هي : والعرائس ؟ هل هناك عرائس معلقة أيضا ؟
- هو : عرائس ! انها لعب سخيفة لا تروقهم •
- هي : ما كل هذا الذي نُشر من فوق المائدة ؟

- هو : كعك وفاكهة وفطيرة محشوة بالقشدة •
- هي : أكلت من أمثالها مرة في صغري •
- هو : وأنا كذلك ، انه طعام ألدّ من الخبز ولكن هذه الحلوى لا يُبذل لنا منها الا بقدر ضئيل •
- هي : وليس هذا هو حالهم ، انها مبذولة لهم تنصّب بها المائدة • أسيأكلون كل هذه الحلوى ؟
- هو : نعم ولا ريب ، فماذا عساهم يفعلون بها ؟
- هي : ولماذا لا يأكلونها من فورهم ؟
- هو : لأنهم غير جياع •
- هي : (وقد غلبتها الدهشة) غير جياع ؟ ولماذا ؟
- هو : لأنهم يأكلون منها متى أرادوا •
- هي : « وهي غير مصدقة » كل يوم ؟
- هو : هكذا يقال •
- هي : هل يأكلونها كلها ولا يجودون منها بشيء ؟
- هو : على مَنْ ؟
- هي : علينا •
- هو : انهم لا يعرفوننا •

- هى : فلو سألتهم •
- هو : هذا غير جائز •
- هى : ولماذا ؟
- هو : لأنه عيب •
- هى : « وهى تصفق فرحا » أوه ، ما أجملهم !
- هو : « فى حماس » انهم غارقون فى الضحك •
- هى : وهؤلاء الصغار الذين يرقصون ؟
- هو : نعم نعم ، فلنرقص نحن أيضا •
- (يتواثبان من الفرح فوق الدكة)
- هى : يا لها من بهجة •
- هو : الكعك يُقدّم لهم ، ان أرادوا لمسه بأصابعهم فعلوا ، انهم يأكلون ويأكلون ويأكلون ••
- هى : حتى الصغار منهم ، أكلوا من الكعك مشى وثلاث وربع •
- هو : « وقد أسكره الطرب » يا لها من لذة ، يا لها من لذة •
- هى : « وهى تزعم فى الوهم انها تعد قطعا من الكعك » قد فزت أنا باثنتى عشرة كعكة •

هو : أما أنا فقد نلت أربعة أمثال نصيبك ، على أننى
سأعطيك منها .

» يدق باب الكوخ ، تيلتيل وقد جمد وتملكه
الخوف ، مخاطباً أخته « .

هو : ترى من يكون الطارق ؟

هى : « فى رعب » انه بابا .

(واذا يتوانيان عن فتح الباب يشاهد
مزلاجه الغليظ يرتفع من تلقاء ذاته ،
ويسمع له صرير ، ثم ينشق الباب عن امرأة
عجوز ضئيلة تلبس ثوبا أخضر وصادرا
أحمر ، هى حدباء عرجاء عوراء ، أنفها تقوس
حتى لامس ذقنها ، تمشى محنية الظهر
تنوكة على عصى ، لا سبيل للغين أن تخطى
أنها جنية) .

الجنية : هل عندكم العشب الذى يدندن والطائر الذى لونه
أزرق ؟

هو : لدينا عشب ولكنه لا يدندن .

هى : تيلتيل عنده الطائر .

هو : ولكنى لا أفرط فيه .

الجنية : ولماذا ؟

هو : لأنه ملكى .

الجنية : هذا سبب وجيه ولا ريب ، وأين هو هذا الطائر ؟

هو : « مشيرا الى القفص » انه فى هذا القفص •

الجنية : « تلبس نظارتها لتفحص الطائر » انه ليس

مطلبى ، ينبغى أن تذهبا لتبحثا لي عن الطائر
الذى أريده •

هو : ولكنى لا أدرى أين هو •

الجنية : لولا أنا ، من أجل هذا ينبغى البحث عنه ، اننى

أستطيع اذا يئست أن أتنازل عن العشب الذى

يبدنن ولكنى لا بد لي من أن أجعد الطائر

الأزرق ، انه لازم لابتى الصغيرة ، هى فى شدة

المرض •

هو : وما مرضها ؟

الجنية : لا أحد يدرى حقيقته ، انها تريد أن تكون سعيدة •

هو : حقا ؟

الجنية : أتعرفان من أنا ؟

هو : انك تشبهين قليلا جارتنا الست غريئة •

الجنية : (وقد تملكها الغضب فجأة) لا شبه مطلقا ، شتان

ما بيننا ، هذه اهانة بليغة ، اننى الجنية غر باوية •

هو : آم ، صدقنا كلامك •

الجنية : ينبغي المضيّ فوراً •

هو : ألسنت آتية معنا ؟

الجنية : هذا مستحيل ، بسبب الحساء الذي أقمته هذا

الصباح على النار فانه يهدد بالفوران والاندلاق
اذا ما غبتُ عنه أكثر من ساعة ، (تشير بالتوالي
الى السقف والمدفأة والنافذة ، من أين تريدان
الخروج ؟ من هنا أو من هنا أو من هناك ؟

هو : (وهو يشير بتهيب الى الباب) الأفضل أن أخرج
من هناك •

الجنية : (وقد عاودها الغضب المفاجيء) هذا مستحيل كل

الاستحالة ، ثم ان الخروج من الأبواب ليس الا
عادة سخيفة ، (تشير الى النافذة) سنخرج من
هناك ، وبعد ، ففيم انتظار كما ؟ ارتديا ثيابكما على
الفور (يطيعها الاثنان ، ويرتديان ثيابهما على
عجل وتمضي الجنية قائلة) سأساعد ميتيل •

هو : ليس لدينا أحذية •

الجنية : ليس هذا بالهم ، سأهبكما قنسوة صغيرة
مدهشة ، أين والداكما ؟

هو : « مشيرا الى الباب الأيمن » انهما هناك ، نائمين ••

الجنية : « وأين جدكما وأين جدتكما ؟ »

هو : مات الاثنان •

الجنية : « واخوتكما واخواتكما الصغار ، أليس لكما اخوة »

وأخوات ؟

هو : نعم نعم ، لنا ثلاثة أخوة صغار وأربع أخوات

صغيرات •

الجنية : « وأين هم ؟ »

هو : ماتوا هم أيضا •

الجنية : « أتريدان رؤيتهم من جديد ؟ »

هو : نعم نعم ، على الفور ، الآن ، دعينا نراهم •

الجنية : « انهم ليسوا في جيبي ، ولكن بختكما حسن ،

فسيحتاج لكما رؤيتهم وأنتما تعبران » أرض

الذكريات « في طريقكما الى الطائر الأزرق ، على

اليد اليسرى فور اجتياز ثلاثة مفارق ، ماذا كنتم

تفعلان حين دقت الباب ؟

هو : كنا نلعب زاعمين أننا نأكل الكعك •

الجنية : « وأين هو ؟ »

هو : في قصر الأولاد الأغنياء ، تعالى أنظري ، ما أبهاه
من مشهد « يجرّان الجنية الى النافذة » .

الجنية : (وهى بالنافذة) ولكن أفواها غير أفواهما هي
التي تأكله .

هو : نعم ولكن يكفيننا أن نرى أكلهم من هنا .

الجنية : أ في قلبكما موجدة عليهم ؟

هو : ولماذا ؟

الجنية : لأنهم يأكلون الكعك كله ، انه لخطأ كبير منهم
أن لا يبذلوا لكما شيئا مما يأكلون .

هو : لا يبذلون لأنهم أغنياء ، ما رأيك في بيتهم ؟ كم
هو جميل .

الجنية : انه ليس أجمل من بيتكما .

هو : هيهات ! بيتنا أقلّ ضوءاً ورحابة ... وليس به
كعك .

الجنية : ليس هناك أقلّ فرق بين بيتهم وبيتكما ، انما أنت
لا ترى .

هو : بالعكس ، اننى أحسن الرؤية ، وعيناي لا تنقصهما
حدة البصر ، اننى على خلاف أبى أبين من بعيد
عقارب الساعة فى قمة برج الكنيسة .

الجنية

: « تغضب فجأة » أقول لك انك لا ترى ، قل
لى اذن كيف ترانى ؟ ما هو شكلى فى نظرك ؟
(تمليل يلوذ بصمت المتحرّج) هيا ، أجننى حتى
أعرف ان كنت ترى ، أنا جميلة أم دمية ؟
(يمتد الصمت ويزداد الحرج) ألا تريد أن
تجيينى ؟ أنا صبية أم عجوز ؟ وبشرتى ؟ أفى لون
الورد أم هى مصفرة كالحة ؟ ولعلّ لى أيضا
حذبة فوق ظهرى ..

هو

: « وهو يسترضيها » لا ، لا ، ان حذبتك ليست
كبيرة .

الجنية

: نعم ، لى حذبة ، ولكن دهشة نظرتك اليها تنبئ
أنك تراها آية فى الضخامة . ألى أنف معقوفة
وعين مقفوعة ؟

هو

: لا ، لا ، انى لا أتبيّن ذلك ، ولكن من الذى
فقاها ؟

الجنية

: (وقد زاد تمللها) ولكنها ليست مقفوعة يا وقيح ،
يا لعين ، انها أجمل من أختها ، هى أوسع
وأصفى ، ان لونها من زرقة السماء ، وشعرى
هل تراه ؟ انه أشقر كسنا بل القمح بل قد يُظن
أنه من المسجد الخالص ، ولى من هذا الشعر

ثروة تثقل رأسى وتفيض من كل جانب ، ها هو
ذا على يديّ ، ألا تراه (تعرض عليه جديلتين
نحيلتين من شعر أشهب) •

هو : نعم ، انى أرى جديلة من شعرك •

هى : تقول جديلة ؟ انها حزمة ملء الذراعين كالنبت
الملتفّ ، هى ذوب عسجد ، انى عالمة أن بين
الناس نفر يزعم انه لا يرى منه شيئا ، ولكنك
- فيما أوّمل - لست من هذا النفر الأعمى
الخيث ؟

هو : كلا كلا ، اننى أرى كل ما تكشف للعين منه •
الجنية : ولكن ينبغى أن ترى بقيته بشطارتك المعهودة ،
ما أعجب بنى الانسان ! منذ أن انتضى عالم
السحر قد طمست أبصارهم وخبث مداركهم ،
ومن حسن الحظ اننى مزودة دائما بكل ما يبعث
النور فى العيون المنطفئة • فما هذا الذى أخرجه
من كيسى ؟

هو : أوه ، ما أجملها من قلنسوة صغيرة خضراء ،
وما هذا الذى يبرق فى زرقاها ؟

الجنية : انها الماسة الكبرى التى نورها هو جلاء العيون •
هو : حقا ؟

الجنية : نعم ، حين تضع القلنسوة على رأسك تدير الماساة قليلا من اليمين الى اليسار ، مثلا هكذا ، أرايت؟ انها حينئذ تضغط على عظم نافر فى الرأس لا يعرفه أحد وهو الذى يفتح العينين •

هو : وهل سأحسّ بألم ؟

الجنية : على العكس ، انه سحر ستحسّ بلطفه ، وفى اللحظة ذاتها تتجلى لك سريرة الأشياء ! سريرة الخبز والنيذ والقلقل •

هو : وتتجلى لى أيضا سريرة السكر ؟

الجنية : طبعاً ، انى لا أحبّ الأسئلة الفارغة ، ان سريرة السكر لا تفضل سريرة القلقل ، والآن ها أنذا أمنحكما كل ما تحتاجان اليه من أجل البحث عن الطائر الأزرق ، اننى لا أجهل أن « خاتم الملك » الذى يحجب لا بسه عن الأنظار ، وأن البساط الطائر أنفع لكما ، ولكنى أضعت مفتاح الخزانة التى كنت خبأتها فيها ، آه ! كدت أنسى ، (تشير الى الماساة) حين تضع يدك عليها وتديرها مرة أخرى قليلا هكذا فسيكتشف لك الماضى ، ثم تديرها أيضا قليلا فيكتشف لك المستقبل ، انها شىء عجيب نافع يعمل فى صمت •

هو : ان بابا سيأخذها مني .

الجنية : انه لن يراها ، لن يقدر أحد أن يراها ما دامت .

على رأسك . أتريد أن تجرب (تضع القلنسوة

الصغيرة الخضراء على رأس تيلتيل) والآن ، أدر

الماسة وانظر ..

(ما يكاد تيلتيل يدير الماسة حتى

يحدث تغير عجيب يشمل كل الأشياء بغتة ،

وتنقلب الجنية العجوز فجأة الى أميرة جميلة

رائعة البهاء وتضئ حجارة الصوان المبنية

بها الجدران بلمعان الياقوت الأزرق ،

وتصبح شفافة براقه تخطف الأبصار شأن

الأحجار الكريمة ، الأثاث الفقير تدب فيه

حياة ذات بهاء ، المنضدة المصنوعة من

الخشب الأبيض تصبح تنطق بالوقار والمجد

مثل منضدة من المرمر ، ووجه الساعة يغمز

بعينه ، ويبتسم ببشاشة ، على حين ينفتح

غطاء دولابها الذي يتأرجح رقاصها من ورائه

يمينا ويسارا ثم تنطلق منه الساعات وهي

مشبكة الأيدي مجلجلة الضحكات ، وتأخذ

في الرقص على نغم حلو ، وحق لتيلتيل

أن يدهش) .

هو : هاته الآنسات الجميلات ، من هن ؟

الجنية : لا تخف ، انهن ساعات عمرك ، هن في غمرة

من الجبور اذ ملكن الحرية والانكشاف للأعين

مدى برهة ولو وحيزة .

هو : ولماذا تتلأأ الجدران ؟ أهى من السكر أم من
الأحجار الكريمة ؟

الجنية : كل الأحجار سواء ، كل الأحجار كريمة ،
ولكن الناس لا ترى الا قلة منها •

(واذا يدور هذا الحوار بينهما تتوالى
لمسات السحر حتى تبلغ كمال غايتها ،
وتبرز سرائر الأرغفة على شكل أقزام فى
سراويل بلون قشرة الخبز الجاف ، سكارى
من الدهشة ، تنائر فوقهم الدقيق ،
ويخرجون فى صندوق الخبز فيدورون حول
المنضدة فى خطى مرحة عابثة فتعترضهم
سريرة « النار » التى قفزت من المدفأة وهى
فى سراويل أصفر وقرمزي وتتلوى من
الضحك وهى تطارد سرائر الأرغفة) •

هو : وهؤلاء الأقزام الأمساح ، من هم ؟

الجنية : ليس أمرهم بالجلل ، انهم سرائر الأرغفة
يتنفعون بسفور عالم الحقيقة ليخرجوا من سجنهم
فى الصندوق الضيق •

هو : وهذا العفريت الأحمر كرية الرائحة ؟

الجنية : اسكت ، لا ترفع صوتك ، انها النار ، وهى شرسة
الخلق •

(لا يقطع هذا الحوار توالى لمسات
السحر ، فاذا بالكلب والهرة وهما نائمان

مكوران الى جانب الصوان يطلقان معا فجأة صرخة عالية ثم ينشق تحتها غطاء سرداب ويبلغهما فيختمان ويبرز بدلهم قزمان أحدهما يتلثم بقناع على هيئة وجه كلب من فصيلة « البولروج » وقناع الآخر على هيئة وجه هرة ، فاذا بالقزم الذى يلبس قناع البولروج (وسنكتفى فيما يلي بكلمة « الكلب » لتسميته) • يرتدى على تيلتل يعاتقه ويرشقة بقبلاات هوج، ويفرقه حتى يشل حركته بتمسحات زائطة متأججة ، على حين أن الفتاة القزم المثلثة بقناع الهرة (وسنكتفى فيما يلي بكلمة « الهرة » لتسميتها) تشرع تتمشط وتلعق يديها وتسوى شاربها من قبل أن تقترب من ميتل (•)

الكلب

: (وهو ينبج ويقفز وينفلت عياره فيخط كل شيء فى طريقه بهوّر لا يطاق) مولاي الصغير أهلا، أهلا بمولاي الصغير ، وأخيرا ، أخيرا ، استطعت أن أتكلم ، ان لدى أشياء كثيرة أود أن أقولها لك فلم يسعنى ويفصح عنى نباح ولا هزّ ذيل ، وكنت لا تفهم عنى ، أما الآن ، أما الآن فمرحبا بمولاي ، انى أحبك ، أحبك ، أتريد أن أريك بعض ألعابى المدهشة ؟ أن أقف وقفة المستجدى ؟ أن أسير على يديّ وحدهما ؟ أن أرقص على قدميّ وحدهما ؟

: (للجنية) من هذا السيد الذى له وجه كلب ؟

هو

الجنية : ألا تدرك ؟ انها سريرة كلبك « تيلو » وقد
استتقذتها أنت من الأسر .

الهرة : (تمد الى ميتيل يدا موقرة متهية) تحية يا ستي ،
ما أجملك هذا الصباح .

هي : تحية سيّدتى (الى الجنية) من تكون ؟

الجنية : من السهل أن ترى بنفسك أنها سريرة هرّتك
« تيليت » التى تمدّ اليك يدها فامنحها قبلة منك .

الكلب : (وهو يزحزح الهرة) وأنا أيضا أريد أن أقبل
مولاي الصغير ، وأقبل ستي الصغيرة ، انى أريد
تقيل الجميع هنا ، ما أسعدنى ! سيطيب لنا لهو
كثير . سأبدأ بأن أخيف تيليت ، هاو ، هاو ، هاو
(ينبحها) .

الهرة : (للكلب) سيدى ، انى لا أعرفك .

الجنية : (وهى تزجر الكلب بعصاها السحرية) أما أنت
فالزم الهدوء والا رددناك الى عالم الصمت الى يوم
القيامة .

(وفى عين الوقت تكون لمسات السحر
ماضية فى عملها ، تنطلق فى ركن الحجرة
عجلة « المغزل » وتلدور بسرعة هوجاء ،
وتنسج أشعة من ضياء ذات بهاء ، يبدأ

الصنبور في ركن آخر يصغر بصوت عال
وتنبعث منه نافورة مضيئة تملأ الحوض
بجدائل من اللؤلؤ والياقوت ، تنفلت منها
سريرة الماء على هيئة فتاة شابة تتساقط
منها القطرات ، شعرها مشعث ونشيجها
مرتفع وتبدأ من فورها عراكها مع سريرة
النار) .

تيتيل : ومن تكون هذه السيدة المبجلة ؟

الجنية : لا تخف ، انها سريرة الماء قد انفلتت من الصنبور

(ينقلب ابريق اللبن ويقع من على المنضدة
ويتحطم على الأرض وينبعث من اللبن المراق
شخص أبيض خجول كأنه يتهيب كل شيء
حوله) .

هو : ومن تكون هذه السيدة الخائفة التي طلعت لنا
بقميص النوم ؟

الجنية : انه اللبن وقد كسر اناءه .

« نرى قمع السكر أمام الصوان يأخذ في
النمو ويزداد حجمه ويمزق ورق غلافه
وينبعث منه شخص يصطنع الرقة وهو
بادى النفاق ، يرتدى معطفا ملونا على
التوالى بالأبيض والأزرق ويتقدم الى ميتيل
وعلى شففته ابتسامة تزعم التقى والورع) .

ميتيل : (في قلق) ماذا يريد ؟

الجنية : انه سريرة السكر .

هى : (وقد اطمأنت) هل عنده حلوى « نبوت الخفير » .

الجنية : ليس فى جيوبه شىء سواها ، وكل أصبع فى يده
« نبوت خفير » .

« يسقط المصباح من على المنضدة وما يكاد
يفعل حتى يتصاعد وهجه على هيئة فتاة
عذراء وضاءة فائقة الجمال ، تجلجلها غلالات
شفافة براقاة وتجمد فى مكانها كأنها فى
وجد) .

هو : انها الملكة !

هى : انها العذراء البتول .

الجنية : كلا يا أولادى ، انها بسمة النور .

(واذا يحدث هذا نرى الطواجن النحاسية
على الرف وهى تدور على محاورها كلعبة
النحلة ، وينفتح باب الصوان على مصراعيه
يدوى ، ويلفظ سيلاً رائعاً من أقمشة بعضها
فى لون أشعة القمر وبعضها فى لون أشعة
الشمس يختلط بها سيل لا يقل روعة من
الخرق والمزق يهبط على السلم من المخزن ،
ثم يقرع الباب الأيمن فجأة بدقات ثلاث
عنيفة نوعاً ما) .

هو : (فى خوف) انه بابا ، قد سمعنا .

الجنية : أدر الماسة من الشمال الى اليمين (تبتلبل يدير
الماسة بعنف) لا تعرفتها هكذا ، يا الهى ! لقد

تأخرنا فضاعت الفرصة من أيدينا ، أنت أدرتها
بعجلة شديدة ، لن يبقى لمن حولنا وقت للعودة
الى أماكنهم المألوفة ، وسنلقى متاعب كثيرة .

(تتردد الجنية الى امرأة عجوز ، تطفىء
جدران الكوخ ضياءها ، وتؤوب الساعات
الى مثواها ، وتكف عجلة المفزل عن
الدوران ، الخ الخ . ويعم المكان هرج
ومرج ، وريكة ، تجوب النار أرجاء الحجرة
فى حركة هوجاء لتبحث عن المدفأة ، واذ
تفعل ذلك نرى رغيفا يعجز عن الاندساس
فى صندوق الخبز فينفجر بكأؤه وتدوى
صرخات فزعه) .

الجنية : ماذا حدث ؟

المرغيف : لم يبق لى مكان فى الصندوق .

الجنية : (تنحنى فوق الصندوق) بل فيه مكان ، فيه مكان
لك ، (تدفع الأربعة التى سبقت فاحتلت مكانها
القديم فى الصندوق) هيا ، هيا ، اسرعوا ،
انتظموا ، أفسحوا بينكم مكانا .

(يدق الباب من جديد) .

المرغيف : (وهو مرتعب مضيق يجاهد عبثا للدخول الى
الصندوق) لا وسيلة للدخول ، سأكون أول
ما يأكله .

الكلب

: (وهو يتوأنب حول تيلتيل) مولاي الصغير ! اننى
لا أزال هنا ، لا أزال أستطيع الكلام ، لا أزال
أستطيع تقبيلك مرة ، وثانية ، وثالثة •

الجنية

: ماذا ؟ أنت أيضا لم تنصرف بعد ؟

الكلب

: اننى محظوظ اذ لم الحق العودة الى عالم الصمت
فان غطاء السرداب كان أسرع منى فانقفل وبقيت •

الهرة

: كذلك كان شأنى ، ماذا سيحدث ؟ هل ستواجهنا
أخطار ؟

الجنية

: يا الهى ! ينبغى أن أصارحكم بالحقيقة ، كل من
يسحب الصييين فى رحلتها سيموت عند نهايتها •

الهرة

: ومن لا يصحبهما ، ما مصيره ؟

الجنية

: يمتد أجله قليلا •

الهرة

: (للكلب) تعال نأوى الى السرداب •

الكلب

: كلا ، كلا ، لا أطاوعك فانى أحب أن أصحب
مولاي الصغير وألا أكف عن مناجاته •

الهرة

: يا لك من غرّ أبله !

(الباب يندق مرة أخرى) •

الرثيف

: (وهو يذرف دموعا ساخنة) لا أريد أن أموت

عند نهاية الرحلة ، أريد أن أدخل فوراً الى
الصندوق .

النار : (وهى لا تنفك تدور فى الحجرة بحركة هوجاء
وترسل أزيزاً ينم عن كriebها) لم أعد أجد المدفأة .

الاء : (وهى تحاول عبثاً الرجوع الى الصنبور) لم أعد
أملك العودة الى الصنبور .

قمع السكر : (وهو يطوف باضطراب حول مزق غلافه) قد
مزقت غلافى .

اللبن : (فى سكينه وخجل) قد كسرت ابريقى الصغير .

الجنية : يا لهم من أغبياء ، أغبياء جنباء ، ان بقاءكم فى
صندوقكم الكريه وفى سراديبكم وصنبوركم
أفضل عندكم من مصاحبة الصيين للبحث عن
الطائر الأزرق .

الجميع : (فيما عدا الكلب وبسمة النور) نعم ، نفضل
العودة فوراً ، الى صنبورى ، الى صندوقى ، الى
مدفأتى ، الى سراديبى .

الجنية : (الى بسمة النور وهى تصوب نظرة حاملة الى
حطام مصباحها) وأنت يا بسمة النور ما قولك ؟
بسمة النور : سأصحب الصيين .

الكلب : (وهو يهتف بفرح) وأنا أيضا ، أنا أيضا •

الجنية : هذه شيمة أفضل ، على كل حال قد فات أوان

النكوص ، لم يبق لكم خيار ، ستخرجون كلكم

معنا • ولكن أنت يا نار ، لا تقتربى من أحد ،

وأنت يا كلب ، لا تشاكس الهرة ، وأنت يا ماء

اصلبى عودك وحذار أن تندلقى أينما حللت •

(لا يزال الباب الأيمن يبق بعنف) •

تيلتيل : (وهو يسمع) هذا الدق مذ بدأ : هو دق بابا •

انه نهض من فراشه وأنا أسمع خطوه •

الجنية : لنخرج من النافذة • ستأتون جميعا الى بيتى

لا تخير لكل حيوان ولكل شىء ما يليق به من

التياب ، وأنت يا رغيف ، خذ معك القفص لنضع

فيه الطائر الأزرق ، ستكون حارسه المسئول عنه ،

هيا هيا ، لا نضع الوقت •

(تنسع النافذة فجأة وتصبح بمثابة باب

فيخرجون منها جميعا ثم تعود الى وضعها

الأول وتقفل مصراعها وهي تزعم البراءة ،

تعود الحجرة للظلام ويختفى المهددان فى

العتمة ، ينفتح الباب الأيمن الى آخره ويظهر

فى إطاره بابا وماما تيل) •

بابا تيل : لا شىء مريب ، لم يكن الا صرير الجنادب •

- ماما تیل : وهل نملك تيين أولادنا ؟
- بابا تیل : نعم ولا ريب ، انهما نائمان في هدوء •
- ماما تیل : انى أسمع أنفاسهما •
- (يتنقل الباب) •

« ستار »

الفصل الثاني

المنظر الثاني : بيت الجنية

(بهو فخم في قصر الجنية غرباوية ،
أعمدة من المرمر لها تيجان من الذهب
والفضة ، سلالم ومقاصير وشرفات الخ الخ
يدخل الى غيابة المسرح من اليمن كل من
الهرة وقمع السكر والنار وهم في ثياب
بديعة ، انهم خرجوا من حجرة ترسل فيضا
من الأضواء ، هي خزانة ثياب الجنية ،
تلفعت الهرة بغلالة بيضاء شفافة فوق
قميص لها من حرير أسود ، وارتدى قمع
السكر ثوبا من الحرير مزدوج اللون : أبيض
وأزرق حائل ، ولبست النار معطفا طويلا
قرمزي اللون ، مبطنا بالذهب ، ووضعت
فوق رأسها ريشة متعددة الألوان ، يخترقون
البهو كله طولا حتى يبلغوا مقدمة المسرح
فتجمعهم الهرة في مقصورة) .

الهرة

: من هنا ، انى خيرة بكل مسالك هذا القصر الذى
ورثته الجنية غرباوية عن صاحب اللحية الزرقاء ،
لقد ذهبت هى والصيَّتان لزيارة ابنتها ، فلنقتسم فى
غيبتهم آخر دقيقة ننعم فيها بحريتنا ، جمعكم هنا
من أجل أن نبحث معا هذا الموقف الذى وجدنا
أنفسنا فيه ، فهل ينقصنا أحد ؟

قمع السكر : ها هو ذا الكلب يخرج من خزانة الملابس •

النار : عجبى ! أى ثوب هذا الذى يرتديه !

الهره : انه اصطفى لنفسه رداء الخادم الذى يحرس عربة

ساندريللا ، لعمري لقد اختار ما يليق به ، لأن

له طبع الخدم ، فلتختبىء فى هذه الشرفة فانى

لتأخذنى من الكلب ربة أعجب لها • والافضل

أن لا يسمع ما سأقوله لكم •

قمع السكر : جهد ضائع فقد دلته حاسة الشم علينا ، انظروا

ها هى ذى سريرة الماء تخرج أيضا من خزانة

الملابس ، ما أبهى جمالها •

(يلتحق بهم الكلب والماء) •

الكلب : (وهو يتوآب) انظروا ، انظروا الى جمالنا

وبهائنا ، الى هذه الدتلا وهذه الزركشة ، ان

خيوطها من ذهب خالص ، لا ريب فيه •

الهره : (الى الماء) يخيل الى أن ثوبك ليس بغريب

على ، لقد سمعت وصفه فى أحدوثة للأطفال •

الماء : نعم نعم ، انى وجدته فوق ذلك أليق الأثواب لى •

وجهمت أن لابسنة هذا الثوب ينبغى أن تحمل

مظلة لا تفارقها •

- الماء** : لا أفهم ، ماذا تعنين ؟
- النار** : لا شيء ، لا شيء •
- الماء** : (تهرأ بالنار وتعرض بأنفها) ظنتك تتحدثين
عن أنف حمراء متورمة رأيتها أخيراً ••
- الهرة** : هيا هيا ، كفوا عن النقار والشجار ، فأمانا شيء
أفضل نفعله ، أصبح لا ينقصنا الا الرغبة • أين
هو ؟
- الكلب** : هو يقيم الدنيا ويقعدها من أجل أن يختار ثوبه •
- الهرة** : حق لمن بدت بلاهته وبرز كرشه أن ينقب
ويتخسّر ••
- الكلب** : وأخيراً اصطفى له طيلسانا من لباس الأتراك
محلّى بالفصوص وله خنجر وعمامة •
- الهرة** : ها هو ذا قادم إلينا ، انه اختار أجمل رداء لصاحب
اللجنة الزرقاء •

(يدخل الرغبة مرتديا الثوب الذي
وصفناه ، هو طيلسان من الحرير قد ضاق
بكرشه البارز فلم تنعقد أزراره فوق بطنه
الا بمشقة ، للرغبة يد على مقبض الخنجر
المثبت على حزامه ، واليد الأخرى ممسكة
بالقفص المعد للمطائر الأزرق) •

الرجيف : (وهو يرقص أمامهم فى خيلاء وغرور) والآن ،
كيف تروتنى فى هذا الطيلسان ؟

الكلب : (وهو يتوانب حوله) ما أجمله ! ما أسخفه
ما أجمله •• ما أسخفه •

الهرة : (للرجيف) وهل ظفر الصبيان بثوبين لهما ؟

الرجيف : كان من نصيب السيّد تيلتيل ثوب «عقلة الأصبع»
سترة زرقاء وسروال أحمر ، ومن نصيب الآتسة
ميتيل ثوب ست الحسن والجمال وحذاء
ساندريلا • ولكن المشكلة كانت فى اختيار ثوب
يليق بسمّة النور •

الهرة : ولماذا ؟

الرجيف : لأنّ الجنية أبت من فرط جمال بسمّة النور أن
تسترها بغطاء ، فاحتججت أنا باسم كرامتنا نحن
سرائر العناصر الأولى وباسم شرفنا الرفيع وأعلنت
فى النهاية اننى أرفض فى هذه الأحوال أن أخرج
فى صحبة بسمّة النور وهى عارية •

النار : كان ينبغى أن نشترى لبسمّة النور ظليّة (أباجور)

الهرة : وبماذا أجابت الجنية ؟

الرجيف : كانت إجابتهما ضربات من عصاها على رأسي وبطني •

الهرة : ثم ماذا حدث ؟

الرجيف : آمنت بحكُمها صاغرا على الفور ولكن بسمة النور قررت في آخر لحظة أن تختار ثوبا لونه من ضياء القمر •

الهرة : كفى ثثرة ، الوقت يتعجلنا ، ان المسألة تتعلق بمستقبلنا • قد سمعتم ما قالته الجنية من أن نهاية الرحلة هي في الوقت ذاته نهاية عمرنا ، فينبغي إذن أن نطيل ما أمكن من أمد هذه الرحلة ، بكل حيلة نملكها ، ثم هناك مسألة أخرى ، ينبغي أن نغني بمصير أجناسنا ومستقبل ذريتنا •

الرجيف : كلام جميل ، الهرة على حق •

الهرة : انصتوا لي : نحن جميع الخاضرين هنا من حيوان وجماد وغنصر لنا سريرة لم يتبينها الانسان بعد ، ولذلك بقينا نتمتع بفضلة من الاستقلال ولكن لو عثر الانسان على الطائر الأزرق فانه سيعرف كل شيء ويرى كل شيء ، ونصبح جميعا في قبضته ، أسرى رحمته هذا ما قالته لي صديقة قديمة هي فحمة الليل ، انها أيضا حارسة أسرار الحياة • فمن مصلحتنا جميعا أن نمنع - مهما كان الثمن - عثور

الانسان على الطائر الأزرق حتى لو اقتضانا الأمر
أن نعرض حياة الصييين للأخطار •

الكلب : (في حق) ماذا تقول هذه البنت ؟ أعيدى قولك
لو تكرمت لا تبين جليته •

الرعيف : الاجتماع •

النار : سكوت ! لم أعطك حق الكلام ، وأنا رئيس هذا
ومن الذي أسند اليك الرياسة ؟

الله : « للنار ، سكوت • ما دخلك في هذا ؟

النار : أنا أتمدخل حين أشاء ، وليس لمثلى أن يعترض
عليه مثلك •

قمع السكر : (محاولا المصالحة) من فضلكم ، من فضلكم ،
ينبغي أن نكف عن العراك ، فالساعة عصىية ،
أماننا قبل كل شيء أن نتفق على خطة تتبعها •

الرعيف : ان رأيي مطابق كل المطابقة لرأي قمع السكر •

الكلب : هذا سخف ، لا تنسوا وجود الانسان ، هذه هي
المسألة كلها ، لا مفر لنا من طاعته والانصياع
لرغباته ، هذه هي الحقيقة التي ليس غيرها حقيقة
أخرى ، أنتي لا أعترف الا بالانسان ، فليحي
الانسان ! حياتنا وماتنا ملك يديه ، وفي خدمته ،
والانسان هو مولانا جميعا •

الرغيف : ان رأى مطابق كل المطابقة لرأى الكلب •

الهرة : ولكن جُذِّ علينا بذكر مبررات قولك هذا •

الكلب : ليس هناك مبررات ، انى أحب الانسان ، وفى
حبى كفاية ، فاذا تأمرتم عليه فانى سأخثكم
أولا ثم اذهب اليه وأفضحكم عنده •

قمع السكر : (يتدخل بلهجة حلوة) من فضلكم ، لا داعى
لهذا النقاش المرّ ، هناك وجهة نظر تسوّغ القول
بأن كلا منكما على حق ، ولكل رأى ما له
وما عليه •

الرغيف : ان رأى مطابق كل المطابقة لرأى قمع السكر •

الهرة : ألسنا نحن الموجودين هنا جميعا ، الماء والنار ،
حتى أنت أيها الرغيف وأنت أيها الكلب ، ألسنا
ضحايا استبداد غاشم ؟ اذكروا العهد الذى كنا
قبل مجىء الطغاة ننعّم فيه بالحرية ونروح ونغدو
كما يحلو لنا على سطح الأرض ؟ لم يكن للدنيا
من سيّد الا النار والماء ، فانظروا كيف كان
مصيرهما • أما نحن فلم نصبح على يد الانسان
الا سلالة هزيلة ممسوخة لأجدادنا العظام :
وجوش الغابات • اسكتوا • اتبّهوا • تصنعوا
البراءة كأنها لم تجتمع لأمر ، فانى أرى الجنية

وبسمة النور قادمين نحونا ، لقد انحازت بسمة
النور الى صفّ الانسان ، ان بسمة النور ألدّ
أعدائنا ، ها هما قد أقبلا •

(تدخل الجنية من اليمين ومعها بسمة
النور وفي أثرهما تيلتيل وميتيل) •

الجنية : وَيَّ وَيَّ ، ماذا أرى ؟ فيم اجتماعكم في هذا
الركن المنعزل • حالكم ينبيء بأنكم تتآمرون ،
قد آن أوان البدء في الرحلة ، وقد قررت أن
تكون بسمة النور قائدكم تطيعونها جميعا طاعتكم
لى وسأستودعها عصاى السحرية ، وسيزور
الصبيان هذا المساء أجدادهما الموتى ولا داعى
لمرافقتكم لهما ، حياءً من الفضول •• سيقضيان
هذه الليلة بين أحضان الراحلين من أسرتهما
فاغتموا وقت غيابهما وأعدوا العدة لرحلة الغد
انها ستكون مرحلة طويلة ، هيا ، انهضوا ،
وابدأوا العمل ، كل واحد منكم فى وظيفته •

الهرّة : (بنفاق) هذا هو عين ما كنت أقوله لهم يا سيّدتى ،
كنت أحثهم على أداء واجبهم بحرص وحماس
ولكن الكلب كان مع الأسف لا ينفك يقاطعنى •

الكلب : ماذا تقول ؟ مهلا ، مهلا ، (ويوشك أن يهجم على

المهرة ولكن تيلتيل يحدس نيتيه فيصده بإشارة
مهددة •

تيلتيل : ارقد يا تيلو ، اذا عدت لهذه الفعلة مرة أخرى
فانى ••

الكلب : يا مولاي الصغير ، انت لا تدري ، انها هى التى ••
هو : (وهو يزجره) اسكت •

الجنية : كفى كفى ، هيا نفرغ من ترتياتنا ، على الرغبة
أن يترك القفص هذه الليلة لتيلتيل فمن الجائر أن
يكون الطائر الأزرق مختبئا فى طيات الماضى
عند الراحلين من أسرته ، انها فرصة على كل حال
لا يحسن اغفالها ، وانت يا رغيف ، هات القفص •

الرغيف : (بلهجة مراسيمية) دقيقة واحدة من فضلك ،
يا سيدتى ، (يتحول الى لهجة خطابية) اننى
أأخذ منكم جميعا شهداء على أن القفص الفضى
الذى كان فى عهدتى •

الجنية : (مقاطعة) كفى ، كفى شقشقة ، سنخرج من
هناك ، أما الصبيان فسيخرجان من هنا •

هو : (وهو شديد التوجس) سنخرج وحدنا ؟
هى : انى جائعة •

هو : وأنا أيضا .

الجنية : (للرغيف) افتح طيلسانك التركيّ واقطع لهما
شريحة من أطيب لحم فى بطنك .

(يفتح الرغيف طيلسانه ويستل خنجره
ويقطع به من بطنه شريحتين كبيرتين يمنحهما
للصبيين) .

قمع السكر : (يقترب من الصيين) اسمح لى أن أقدم لكما
أيضا شيئا من حلوى نبوت الخفير (يكسر من
يده اليسرى أصابعها الخمس واحدا بعد آخر
ويمنحها للصيين) .

هو : ماذا يفعل ؟ انه يكسر أصابعه كلها .

قمع السكر : (وهو يمنحهما بكرم) هيا ، ذوقاها ، انها حلوى
بديعة ، نبوت خفير بحق وحقيق . . .

الجنية : حذار يا ولدى من الافراط فى أكل السكر ثم
لا تنسيا أنكما ستتناولان العشاء بعد قليل عند
أجدادكما .

هو : أهم هنا ؟

الجنية : سترىانهما وشيكا .

هو : وكيف نراهم وهم موتى ؟

الجنية : كيف نقول عنهم موتى وهم يعيشون فى ذاكرتكما ،
ان الناس لا يدركون هذا السرّ لأنهم لم يبلغوا

من العلم الا قليلا ، أما أنت فسترى بفضل الماسة
ان الموتى الباقين فى الذاكرة يعيشون فى هناء كما
لو كانوا غير موتى •

هو : وهل ستأتى بسمه النور معنا ؟

بسمه النور : من الأليق أن لا نفسد على الأسرة خلوتها اذا
اجتمعت ، وسأبقى قريبا فلا أظهر لهم حتى لا أنهم
بالفضول وقلة الحياء ، ثم لا تنس أننى لم أتلق
منهم دعوة •

هو : من أى طريق ينبغي أن نذهب ؟

الجنية : من هناك ، أتتما الآن على عتبة أرض الذكريات ،
وحالما تدير الماسة سترى شجرة سامقة عليها
لافتة فتفهم منها أنك قد وصلت ولكن اياكما أن
تنسيا العودة فى الساعة التاسعة الا ربعا ، هذا
شئ فى غاية الأهمية ، فاحرصا قبل كل شئ
على العودة فى الموعد المحدد وسيضيع كل شئ
هباءا اذا تأخرتما ، فالى اللقاء اذن ، (تنادى الهرة
والكلب وبسمه النور الخ الخ) انتم من هنا ،
والصبيان من هناك •

(تخرج من اليمين مع بسمه النور وزمرة
الحيوان الخ الخ • ويخرج الصبيان من
اليسار) •

« ستار »

المنظر الثالث

أرض الذكريات

(ضباب كثيف ، على اليمين في مقدمة المسرح جذع شجرة بلوط ضخمة ، معلق عليها لافتة ، الضوء كاللبن المسكوب ، غامض غير شفاف • تيلتيل وميتيل عند جذع الشجرة) •

هو : هذه هي الشجرة •

هي : وعليها اللافتة •

هو : عيني لا تستطيع قراءتها ، انتظري ، سأصعد فوق هذه الجذور ، نعم ، هي المقصودة حقاً ، فمكتوب عليها « أرض الذكريات » •

هي : وهل تبدأ هذه الأرض من هنا •

هو : نعم ، هناك رسم سهم يشير إليها •

هي : ولكن أين جدى وجدتي ؟

هو : من خلف الضباب ، فلنصبر حتى نرى •

هي : اني لا أرى شيئاً ، بل لم أعد أرى يديّ وقدميّ (بلهجة متباكية شاكية) أحسّ بالبرد يقرصني ،

ولا أريد متابعة الرحلة ، أريد أن أعود للبيت .

هو : شدّى حيلك ، أهكذا دأبك ، البكاء ، كما تفعل
صاحبتنا الماء ، ألا تخجلين ؟ فتاة شابة مثلك ؟
انظري ، ها هو ذا الضباب ينقشع ، وسرى ماذا
كان يخفيه عنا .

(يبدأ الضباب فعلا فى التموج ، فيرق
ويشف ، ويتبدد ويتبخر ، ويحل محل
ضوء يزداد سطوعه شيئا فشيئا ، يتكشف
تحت سقيفة من الأغصان بيت ريفى صغير
ينطق بالبشر ، تغطيه نباتات متسلقة ،
النوافذ مفتوحة ، وكذلك الباب ، ونرى
تحت عريشة خلایا نحل ، واصل زهر على
حافة النوافذ ، وقفصا به شحور أسود
قد أغفى ، وبجانب الباب دكة يجلس عليها
شيخ وزوجه العجوز ، كلاهما مستغرق فى
نوم عميق هما الجد والجدة) .

تيلتيل : (يعرفهما فجأة) هذا جدّى ، وهذه جدّتى .
ميتيل : (تصفق طربا) نعم ، هو جدّى ، وهى جدّتى .
هو : (وبعض الشك لا يزال يساوره) احذرى ،
فلسنا ندري هل هما قادران على الحركة ،
فلنختبئ وراء الشجرة .

(تفتح الجدة تيل عينيها وترفع رأسها
وتتمطى وتتنهد ، وترمق الجد تيل وهو
ينفلت من قبضة النوم قليلا قليلا) . .

الجدة : قلبي يحدثني أن حفيدنا سيزوراننا اليوم من عالم الأحياء ، لا شك .

الجدة : لا شك أننا خطرنا على بالهما بدليل خفقان قلبي وخدر ساقى .

الجدة : أظن أن وصولهما قد اقترب لأن دموع الفرح تتراقص أمام عيني .

الجدة : كلا كلا ، هما لا يزالان على بُعد والاّ لدبت الهمّة في بدنى .

الجدة : أوكد لك أنهما أصبحا بالقرب منا ، فها هي قواى تعود الى كلّها .

**تيليتيل
هيتيل** : (وهما يندفعان نحوهما من وراء الشجرة)
} ها نحن قد جئنا ، ها نحن قد جئنا ، يا جدتى ،
يا جدتى . نحن حفيدا كما ، نحن حفيدا كما .

الجدة : ها هما قد وصلا . ألم أقل لك ؟ كنت واثقا أنهما سيحضران اليوم .

الجدة : تيليتيل ، هيتيل ، حفيداى (تحاول النهوض لتسبقهم فى اللقاء) لا أستطيع الجرى فلم يفارقني الرومانزم .

الجدة : (يحاول الجرى وهو يعرج) وأنا أيضا عاجز

عن الجرى على ساقى الخشبية ، أين هى من ساقى
التي انكسرت يوم سقطت من على شجرة البلوط .
(يشترك الحفيدان والجدان فى عناق
حار) .

الجدة : شدّ ما قوى عودك ونما يا تليل .

الجد : (وهو يربّت على شعر ميتل) وميتل ، انظري
اليها ! بربك ما أجمل شعرها ، ما أجمل عيناها ،
ثم شذى عرفها ، ما أطيبه !

الجدة : هيا تتعاق مرة أخرى ، تعالا أجلسا فى حجرى .
وأنا ؟ ألم يبق لى نصيب ؟

الجد : كلاً ، أنا أولاً ، كيف حال بابا وماما .

هو : على أحسن حال يا جدتى ، كانا نأتمن حين خرجنا .
الجدة : (وهى ترمقهما ولا تكفّ تربّت عليهما) تالله
ما أبهى جمالكما ، وظرفكما ونظافتكما ، جواربكما
غير ممزقة ، قد كنت أنا من قبل أقوم برفوها ،
لماذا لاتواليان زيارتنا ؟ فان هذا يسرنا كثيرا
امتد تسنانكما لنا شهورا طويلة ، ولم نعد نرى
أحدا منكما .

هو : لم تكن نقدر يا جدتى ، واذا كنا قد جئنا اليوم
فذلك بفضل الجنية .

الجدّة : نحن هنا دائما نترقّب من الأحياء زيارة ولو
قصيرة ، انهم لا يحضرون الا نادرا ، فأخّر مرة
جئتُما فيها .. دعوني أتذكّر ، متى كانت ؟ نعم
كانت في عيد جميع القديسين حين كانت أجراس
الكنائس تدق أنغامها •

هو : عيد جميع القديسين ؟ اننا لم نخرج ذلك اليوم
بسبب الزكام •

الجدّة : نعم ولكن زارنا فكم كما •

هو : نعم ، كنا نفكر فيكما •

الجدّة : في كلّ مرّة تفكر ان فينا نستيقظ ونراكم من
جديد •

هو : كيف ؟ أيكفي أن ..

الجدّة : بلا ريب ، أنت تعلم هذا ..

هو : كلا ، لا أعلم •

الجدّة : (للجدّ) ما أعجب حال أهل الدنيا ! انهم لا يعرفون
هذا ! هل عجزوا عن الادراك ..

الجدّ : كنا مثلهم في عهدنا ، ما أغبى حديث الأحياء
عن الراحلين •

هو : أكتنما نائمين طول الوقت ؟

الجد : نعم ، نحن نبقى نائمين ننتظر أن يمر ذكرنا بال
أحد الأحياء فنستيقظ ، ما أحلى النوم حين تولى
الحياة ولكن ما أحلى اليقظة أيضا بين الحين
والحين •

هو : فأنت لست بميت حقا ، وكذلك جدتي •

الجد : (وهو يفرز) ماذا تقول ؟ ماذا يقول ؟ ها هو ذا
ينطق بكلمات لم نعد نفهمها ، أهى كلمة مستحدثة
أم اختراع جديد •

هو : تعنى كلمة « ميت ؟ »

الجد : نعم ، هذه الكلمة • ما معناها ؟

هو : معناها ينطبق على كل من انتهت حياته •

الجد : ما أغباهم أهل الأرض •

هو : أنتم فى راحة هنا ؟

الجد : لا بأس ، لا بأس ، وحبذا أيضا لو أتيح لنا
التدخين •

هو : أغير مسموح لك به ؟

الجد : نعم ، التدخين مباح ولكنى كسرت غليونى (١) •

(١) نقلت هذه الفقرة من الترجمة الانجليزية لأنها فى الأصل
الفرنسى واردة على صورة لا تتسق مع بقية الحوار •

الجدة : سنكون بخير اذا أكثرتما من زيارتنا ، أنذكر
يا تيلتيل آخر مرة أعددت لك فيها فطيرة تفاح
جميلة وكيف أفرطت في الأكل منها حتى
مرضت •

هو : لم أكل فطيرة تفاح منذ العام الماضى وليس لدينا
تفاح هذا العام •

الجد : كفى هراء ، التفاح موفور هنا •

هو : الأمر يختلف •

الجد : كيف يختلف ؟ لا يختلف ما دما نتعاق •

هو : (وهو ينقل نظره بين الجدّ والجدة) شكلك
يا جدّى لم يتغير ، وكذلك جدتى ، بل قد زدتما
وسامة وجمالا •

الجد : لا بأس بحالنا ، لم نعد نتقدم فى العمر فكبر ،

أما أنتما فما كان أسرع نموّكما ، انه نموّ مليح •

التفت الى الباب ، عليه علامة قياس طولك آخر

مرة ، يوم عيد جميع القديسين ، فلننظر الفرق ،

شدّ قامتك (تيلتيل يستند الى الباب ويشد

قامته) الفرق أربعة أصابع ، يالها من طفرة هائلة ،

(ميتيل تشدّ قامتها هي الأخرى) وميتيل ؟

أربعة أصابع ونصف أصبع ، ما أسرع نموّ

النباتات الشيطانية ، عجبى لطولكما ، عجبى
• لطولكما •

هو : (يتأمل فيما حوله بمتعة وانبهار) كل شيء هنا
باق كما كان ، كل شيء فى موضعه ، وان ازداد
جمالا ، هذه هى الساعة وعقربها الكبير الذى كنت
كسرت رأسه •

الجـد : وهذا هو قدر الحباء الذى كنت كسرت طرفه •

هو : وهذا هو الخرم الذى أحدثته بالباب يوم وقع
المنقباب فى يدي •

الجـد : نعم ، ما كان أكثر اتلافك ، وهذه هى شجرة
البرقوق التى كنت تحب تسلقها حين أغيب • •
انها لا تزال تجود بثمر أحمر شهى •

هو : ولكنه ازداد جمالا •

هى : وهذا هو الشحرور الهرم • • ألا يزال يغنى • •

(يستيقظ الشحرور وينطلق فى الغناء)

الجـدة : أرايت ؟ انه يغنى على الفور حين يمر ذكره ببال

هو : (يلحظ بدهشة أن الشحرور لونه أزرق) ان

لونه أزرق ، اذن هو الطائر الأزرق الذى
ينبغى أن آتى الجنية به ، كيف سكتما عن اخبارى

انه عندكما • نعم • نعم • انه أزرق اللون •
يشبه الزرقاء من الحبّات الزجاجية التي نلعب
بها ، (يستعطف الجدّ والجدة) يا جدّي •
يا جدتي ، هل لكما أن تسمحا باعطائه لي •

الجد : نعم ، ربما ، ربما ، ما رأيك يا ستّي ؟

الجدة : نعطيه ولا ريب ، فما نفعه هنا • لا صنعة له الا
النوم ، فلا نسمع له شذوا •

هو : سأضعه في قفص ، وىّ ، أين هو قفصى ؟ نعم •
لقد نسيته خلف الشجرة • (يجرى اليها ويعود
بالقفص ويحبس فيه الشحور) أحقا سمحتما
به هدية لا تسترد ؟ ستر به الجنية • أما عن
بسمة النور فلا تسألانى عن فرحتها حين تراه •

الجد : ليكن فى علمك أنتى لا أضمنه ، وأخشى أن
لا يألف من أهل الأرض اضطراب حياتهم
فيركب أوّل ريح يهب إلينا ويعود ، على كل حال
سنرى ماذا يكون من أمره ، أما الآن فدعه الى
حين ، وتعال نلقى نظرة على خلايا النحل (١)

(١) تلقى نظرة على البقرة ، هكذا فى الأصل والترجمة
الانجليزية ، وأظنها غلطة مطبعية للتشابه فى الفرنسية بين
كلمة « بقرة ، وكلمة خلايا » اذ لم يرد للبقرة ذكر فيما بعد .

هو : (وهو يلحظ خلايا النحل) وكيف حال النحل •

الجد : لا بأس بحالها ، لعلّ أهل الأرض يقولون عنها

ماتت أيضا ، ولكنها لا تزال هنا تعمل بنشاط •

هو : (يقترب من الخلايا) نعم ، انى أشمّ رائحة

العسل ، لاريب أن الخلايا عامرة ، فكل الأزهار

هنا جميلة ، وشقيقتى اللاتى متن ، أهن هنا

أيضا •

هى : وأشقيتى الثلاثة الذين واريناهم التراب • أين

هم ؟

(ما تكاد تنطق بهذه العبارة حتى ينفلت

من باب الكوخ واحداً اثر آخر سبعة من

الأولاد يختلفون طولا ، يحمل كل منهم

مزمارة (بان) رمز الطبيعة بين أرباب

الأغريق وهو لا يرسم الا بمزمارة) •

الجد : ها هم أمامكما ، حالما يمرّ ذكرهم بالكما أو

ينطق باسمهم لسانكما فانهم يظهرون ، ما أعزّ

أولادى جميعا •

(تيلتيل وميتيل يجريان للقاء أخوتهم

ويشيع التزامم والتعانق والرقص والدوران

وهتافات الفرح) •

هو : تعال يا بيرو ، (يشدّ كل منهما شعر أخيه)

ستعارك كما كنا نفعل فى الايام الخوالى ، وأنت

يا روبير ، أنعم صباحا يا جان ، أين نجلتلك التي
تلاعب بها ؟ مادلين ، بيريت ، بولين ، ها هي
ريكيت •

هي : ريكيت ، ريكيت ، انها لا تزال تحبو على اليدين
والقدمين •

الجلدة : نعم ، لم تكبر •

هو : (يلحظ الكلب الصغير وهو ينبج حولهم) ها هو
كيكى ، كنت قطعت ذيله بمقص بولين • انه لم
يتغير أيضا •

الجلدة : (فى لهجة الحكيم) لاشئ يتغير هنا •

هو : ولا يزال على أنف بولين دملها •

الجلدة : انه ضيف ثقيل ، لا يرحل ولا نستطيع طرده ••

هو : ما أبدع صحتهم وامتلاء أبدانهم وصفاء بشرتهم
وتورّد خدودهم لا ريب أنهم ينعمون بطعام
وفير •

الجلدة : صحتهم تحسنت مذ فارقتهم الحياة فقد نجوا من
معاناة الخوف والمرض والقلق •

(تدق الساعة فى الكوخ ثمانى دقائق) •

الجلدة : (فى دهشة) ما هذا ؟

الجند : لَعْمَرى لست أدرى ، لابد أنها الساعة •

الجدة : هذا مستحيل ، انها لم تدق قط من قبل •

الجند : نحن لم نفكر فى الساعة ، فهل فكر فيها أحد منكما •

هو : نعم ، أنا ، كم الساعة الآن •

الجند : لست أدرى وربى ، لم نعد نبالي بالوقت ، وقياسه ، لقد دقت ثمانى مرات ، لابد أنها الساعة الثامنة فى حساب أهل الأرض •

هو : ان بسمة النور تنتظرني فى الساعة التاسعة الا ربعا ، هذا هو أمر الجنية ، انه موعد هام فلا بُدّ لى من أن أنصرف •

الجدة : أيرضيك أن تتركنا وقد حان موعد العشاء ، فلنعدّ المائدة فوراً أمام الباب ، من حسن الحظ أننى كنت أعددت من الكرنب حساءً بديعاً وكذلك فطيرة برقوق •

هو : ولم لا ما دمتُ قد ظفرت بالطائر الأزرق ، ثم ان حساء الكرنب لم أذقه منذ عهد طويل فهذا هو حال المسافرين مثلى ، انه طعامٌ لا يقدم فى الفنادق •

الجدة : ها هو الحساء ، قد تمّ اعداده ، هيا الى المائدة

يا أولادى ، ان كنتم تستعجلون الذهاب فلا
تضيعوا الوقت •

(اشعلوا المصباح وقد حل المساء وجلس
الأحفاد مع الجددين حول مائدة العشاء وهم
يتزاحمون ويلكز بعضهم بعضا ويتعالى
ضحكهم وصيحات فرحهم) •

هو : (يأكل بشراسة) ما الذة من حساء ، ياله من
حساء لذيذ ، مزيدا منه ، مزيدا منه •

الجد : يا لليب ! اهدأ قليلا ، لازلت كعهدي بك سىء
الأدب ، انك ستكسر طبقك •

هو : (ينهض نصف نهوض من على مقعده) أريد المزيد
(يمسك بالقدر ويسحبها نحوه فيقلبها
ويندلق الحساء فوق المائدة ويتساقط على
ركب الأطفال ويحرقها فيصرخون من الألم) •

الجدة : أرأيت ؟ ألم أحذرك ؟
الجد : (وهو يهوى على خد تيلتل بصفعة رنانة) هذا
جزاؤك ••

هو : (يتخاذل لحظة ثم يضع يده على خده متلذذا)
هكذا كانت صفعاتك حين كنت تضربنا وأنت حى
بيننا ، ما أبركها ، وما أذها ، ينبغي أن أقبل
اليد التى صفعتنى ••

الجد

: طيّب طيب ، عندى منها المزيد اذا أحيت

(تدق الساعة النصف بعد الثامنة)

هو

: (وهو يفز) الثامنة والنصف ، (يقذف بالملقعة)

هيا ، لم يبق أمانا الا الوقت الذى يلزمنا

الجدة

: أيجمل بك هذا ، اصبر بضع دقائق فيتكم لم

يندلع فيه حريق ، نحن لا نراكما الا نادرا

هو

: كلا ، لا أستطيع فان بسمة النور طيبة القلب ، وقد

وعدتها ، هيا يا ميتيل ، هيا

الجد

: عجبى للأحياء ، لا يخرج من يدهم الا ازعاج

الغير ، متعللين بأشغالهم واضطراب أيامهم

(يأخذ تيلتيل القفص ويدور على الجميع

يعانقهم بعجلة)

هو

: الوداع يا جدتى ، الوداع يا جدتى ، الوداع

يا اخوتى وأخواتى ، يرو ، روبير ، بولين ،

مادلين ، ريكيت ، وانت أيضا يا كيكى ، ان مقامنا

بينكم قد آذن بالانتهاء ، لا تبك يا جدتى ، سنأتى

لزيارتكم مرارا

الجدة

: تعال كل يوم ومعك أختك

هو

: نعم ، نعم ، سنعود ما أمكننا

الجدة

: هذا هو كل ما بقى لنا من أسباب الفرح ، ويوم

- يمر ذكرنا بالكما هو عندنا يوم عيد •
- الجـد** : هذه هي تسليتنا الوحيدة •
- هو** : البدار ! البدار ! أين القفص ؟ أين الطائر ؟
- الجـد** : (يعطيه القفص) ها هو ذا ، ليكن مفهومنا اننى
- لست ضامنه ولا ضامن صدق لونه •
- هو** : الوداع ، الوداع •
- الاخوة والاكوات** : الوداع يا تيليل ، الوداع يا ميتيل ، لا تنسيا أن
- تجيئنا لنا بحلولى ، عودا الينا ، عودا الينا •
- (يلوح الجميع لهما بمناديلهم على حين
يبتعد الصبيان ببطء ويحدث أثناء الفقرات
الآخيرة من الحوار السابق أن الضباب الذى
شاهدناه فى مطلع المنظر يعود فينعقد
وتخفت الأصوات وتخفى المرئيات كلها
الا تيلليل وميتيل وهما واقفان والستار يهيم
بالنزول عند شجرة البلوط الضخمة) •
- هو** : من هنا الطريق يا ميتيل •
- هى** : أين بسمة النور •
- هو** : لست أدرى ، (ينظر الى الطائر فى القفص)
- عجبى ! لم يبق له لونه الأزرق ، أصبح أسود
اللون •
- هى** : خذ بيدى فأنا فى شدة الخوف والبرد •

« ستار »

الفصل الثالث

المنظر الرابع : قصر فحمة الليل

بهو فسيح رائع ، له فخامة تنطق بالجد والصرامة ووقار الأضرحة ، واشتركت مختلف المعادن في اقامته ، يخيل لرائيه أنه بازاء معبد اغريقى أو فرعونى ، أعمدته وعقودها وكذلك زينته وكساء أرضه من المرمر الأسود ، والذهب ، والأبنوس ، البهو على هيئة مستطيل ضلعاه الأفقيان متوازيان والأمامى أطول من الخلفى، وضلعاه الجانبيان غير متوازيين ، درجات السلم الذى يتسلقه تكاد تشغل عرضـه كله ، وتقسـمه الى ثلاثة مسطحات تؤدى الى غيابته ، الواحد منها يرتفع عن سابقه قليلا ، بين الأعمدة على اليمين واليسار أبواب من البرونز الداكن ، وفى وسط البهو من ناحية الخلف باب ضخـم من النحاس ، لا يعم البهو الا ضوء غامض كأنه مستمد فى أغلبه من بريق المرمر والأبنوس، ونرى عند رفع الستار «فحمة الليل» على هيئة امرأة رائعة الجمال ترتدى ثوبا أسود طويلا ، جالسة على درج المسطح الثانى ، يحف بها طفلان ، أحدهما يكاد يكون عاريا ، شأن كيوبيد رسول الحب عند الاغريق ، طويلا ، جالسة على درج المسطح الثانى ، فواقف جامدا ، تغطيه غلالة من رأسه الى أخمصيه ، تدخل الهرة من على اليمين فى مقدمة المسرح) .

فحمة الليل : من القادم ؟

الهرة : (وهى تتهاوى من الاعياء على درج السلم المرمى) أنا يا أمى ، قد هدنى التعب •

فحمة الليل : ماذا بك يا بنيتى ، لقد بدا عليك الشحوب والهزال ، وتلطنح بالطين جسدك حتى شواربك ، فهل عدت للعراك على الأسطح بين المزاريب تحت الثلج والمطر ؟

الهرة : ليس الشأن شأن أسطح ومزاريب ، بل شأن جلال يهدد السر الذى بيننا • لقد نجحت فى الهرب لحظة لأطير اليك بالخبر ، ولكن أخشى أن يكون الأمر قد خرج من يدنا •

فحمة الليل : ماذا تقولين ؟ ما الذى حدث ؟

الهرة : سلف لى أن حدثك عن تيلتل ابن الحطاب وعن المساة السحرية ، انه سيحضر اليك ليطلب منك الطائر الأزرق •

فحمة الليل : دعيه يجرى وراءه •

الهرة : ولكنه سيظفر به عما قريب ان لم نصنع معجزة ، سأقص عليك ما جرى ، ان بسمة النور التى تقود خطى تيلتل وتخوننا جميعا قد انضمت قلبا وقلبا

الى صف الانسان ، وقد علمت بسمة النور أن
الطائر الأزرق الصادق لا الزائف والوحيد الذى
يقوى على العيش فى ضوء النهار مخبئ هنا
بين أشباهه فى اللون من طيور الأحلام التى
تستمدّ غذاءها من ضوء القمر وتموت حالما
ترى الشمس ، وبسمة النور على علم بأن اجتياز
عتبة هذا القصر محرّم عليها ولكنها سترسل
الصبيين بدلا منها ، واذ كنت أنت لا تستطيعين
صدّ الانسان عن فتح أبواب أسرارك فلا أدري
ما الحال • لأنه اذا حلتّ النكبة وفاز الصياني
بالطائر الأزرق فلا سبيل لنا الا أن نخفى •

يا الهى ، يا الهى ، ماذا جرى للعالم فى أى زمن
أصبحنا نعيش ؟ لم أعد أنعم بالراحة لحظة واحدة
ونعجزت فى السنوات الأخيرة عن فهم الانسان •
ما غرضه ؟ أحتّم له أن يعرف كل شيء ؟ لقد
نجح الى اليوم فى أن يهتك من أسرارى ثلثها ،
فالمخاوف التى أطلقها أصبحت بدورها خائفة ،
ولا تجرؤ على الخروج للناس ، والأشباح التى
استخدمها قد هربت ، وأغلب الأمراض التى
أنشراها قد أقعدتها العليل •

: أعلم هذا يا أمى فحمة الليل • وأعلم أن الزمن

الهرة

عصيب ، أننا نكاد ننفرد وحدنا فى خوض غمار
 المعركة ضد الانسان ، ولكن ها أننا أسمع خطو
 الصييين يقترب ، فلا أجد أمامنا الا حلاّ واحدا ،
 ينبغى - لأنهما فى مرحلة الطفولة - أن نقذف
 فى قلوبهما من الرعب ما يسلبهما الشجاعة على
 المضىّ فى سيلهما أو على فتح الباب الكبير فى
 نهاية البهو للوصول الى طيور القمر التى تختفى
 وراءه . أما أسرار بقية الكهوف فهى كفيّلة بأن
 تزيغ بصرهما أو تزلزل من الرهبة قلوبهما .

فحمة الليل : (وهى تسترق السمع الى ضجة فى الخارج) ماذا
 أسمع ؟ ان القادمين أكثر من اثنين .

الهرة : لا تخشى شيئا ، انهم أصدقاؤنا ، الرغيف وقمّع
 السكر ، أما الماء فقد أقعدها المرض والنار عاجزة
 عن المجيء ، لأنها تمتّ بنسب الى بسمّة النور ،
 أما الكلب فهو وحده الذى ليس من حلفائنا ،
 وهيهات لنا أن نهرب من ملاحظته .

(تيلتيل وميتيل والرغيف وقمّع السكر
 والكلب يدخلون بتهيب من اليمين عند
 مقدمة المسرح) .

الهرة : (تسارع الى التقدم للقاء تيلتيل) من هنا ، من هنا ،
 يا سيّدى الصغير ، لقد أنبأت فحمة الليل بمقدمكم

وقد سرّها كل السرور أن تستقبلكم ، واعذروها
إذا هي لم تسارع الى باب القصر للحفاوة بكم
فان بها وعكة خفيفة •

هو : طاب صباحك سيّدتى فحمة الليل •

فحمة الليل : (بصوت محقق) طاب صباحى ؟ هذا كلام
لا أستسيغه ، كان ينبغي لى أن تقول « طابت
ليلتك » أو على الأقلّ « طاب مساؤك » •

هو : (وهو خجل من ذنبه) عفوا سيّدتى ، كنت
أجهل هذا (يشير بأصبعه الى الطفلين الملازمين
لفحمة الليل) أهما ابنك الصغيران ؟ ما أطفهنما

فحمة الليل : نعم ، الأول هو السبات •

هو : ولماذا هو جدّ سمين ؟

فحمة الليل : لأنه يشبع من النوم •

هو : وهذا الآخر المتستّر • لماذا يحجب وجهه •
ما علته ؟ ما اسمه ؟

فحمة الليل : انها بنت ، هي أخت السبات ومن الخير أن
لا أذكر لك اسمها •

هو : ولماذا ؟

فحمة الليل : لأن اسمها تنفر منه الأذان ، ولكن دعنا نتكلم
فى مسألة أخرى ، لقد أنبأنى الهرة أنك جئت
تبحث عن الطائر الأزرق •

هو : نعم سيّدتى ، فهل لك ان أذنت أن تخبرينى أين
هو ؟

فحمة الليل : لا أعرف عنه شيئاً ، يا صديقى العزيز ، غاية
ما أستطيع أن أؤكد لك أنه ليس موجودا هنا
وأنى لم أره قط •

هو : لا • لا • لقد أخبرتنى بسمة النور أنه هنا • وهى
على ما تقول أمانة ، فهل لك أن تعطينى مفاتيحك •

فحمة الليل : ولكن يا صديقى الصغير أنت تدرك ولا ريب أنى
لا أستطيع أن أسلم مفاتيحى لأول قادم • فانى
قيّمة على كل أسرار الطبيعة وأنا مسئولة عنها •
ومحرّم علىّ كل التحريم أن أعهد بمفاتيحى الى
أحد فما بالك اذا كان طفلا •

هو : ليس لك الحق فى حجزها عن الانسان اذا طلبها ،
انى على علم بهذا •

فحمة الليل : من الذى قال لك ؟
هو : بسمة النور •

فحمة الليل : بسملة النور مرة أخرى ، بسملة النور دائما أبدا ،
ما دخلها في هذا ؟

الكلب : أتحب يا مولاي الصغير أن أترع منها المفاتيح
عنوة ؟

هو : « الزم الصمت والهدوء وحسن الأدب » (الى
فحمة الليل) لا داعي للجدل سيدي ، اعطني
المفاتيح من فضلك •

فحمة الليل : هل لديك العلامة على الأقل ، أين هي ؟
هو : (يلمس قمة قلنسوته) أترين المساة ؟
(وقد أسقط في يدها) أمرك ، ها هو ذا مفتاح
فحمة الليل : كل أبواب البهو ، ذنبك على جنبك اذا أصابك
شر • فاني بريئة مما يحدث لك •

الرجيف : (في قلق شديد) أئمة أخطار ؟
فحمة الليل : أخطار ؟ غاية القول أنني أنا نفسي لا أدري كيف
أسلم حين تنشق بعض هذه الأبواب البرونزية
عن الهوة وراءها ، فهناك حول البهو في كل
كهف من كهوف البازالت مجمع كل علة وكل
بلاء وكل مرض وكل أنواع الرعب وكل المحن
والأرزاء ، وكل تدبير خفي تعاني منه الحياة •
منذ الخليقة ، وليس الا بسذل غاية الجهد ان

استطعت حبسها فى مخابئها بعون من « القدر »
وأؤكد لك أنتى أجد أكبر المشقة فى أن أفرض
شيئاً من النظام على هذه الكائنات الهوج المتمردة ،
فأنت سترى رأى العين ماذا يحدث حين يهرب
أحدها وينفلت الى سطح الأرض •

الرجيف : ان تطاول عمري وتجربتي واخلاصى تؤهلنى
بطبيعة الحال لأن تسند الى حماية هذين الصيين ،
من أجل هذا ، سيدتى فحمة الليل ، اسمحى لى
أن أوجه اليك سؤالاً •

فحمة الليل : هاته •

الرجيف : اذا حاق بنا خطر فمن أى ناحية نهرب ؟

فحمة الليل : لا وسيلة للهرب •

هو : (يأخذ المفتاح ويصعد أول الدرج) لنبدأ من

هنا ، هذا الباب البرونزى ، ما وراءه ؟

فحمة الليل : وراءه الأشباح فيما أعتقد ، لقد مضى زمن طويل

منذ أن خرجوا حين فتحت لهم الباب آخر مرة •

هو : (يضع المفتاح فى القفل) سأرى (الى الرجيف)

قفص الطائر الأزرق • أين هو ؟

الرجيف : (أسنانه تصطك) لا أقول هذا لأنتى خائف ولكن

ألست ترى من الأفضل أن لا نفتح الباب وأن

نكتفى باختلاس نظرة من ثقب القفل ؟

هو : لم أطلب مشورتك •
ميتيل : (تنفجر بالبكاء فجأة) أنا خائفة • أين قمع السكر ؟
أريد أن أعود للبيت •

قمع السكر : (يقترب منها وهو مهموم لها ومحتف بها) اننى
هنا بجانبك يا آنسى ، كفكفى دمعك ، سأقطع
أحد أصابعى وأهبك حلوى نبوت الخفير •

هو : فُضّوها وخلصونا ، (يدير المفتاح فى القفل
ويجذب الباب بحذر وخالما يفعل تنفلت خمسة
أو ستة أشباح لكل منها هيئة عجيبة تختلف عن
هيئة الآخر ، وتنتشر فى كل جانب ، يلقى
الرجيف من الرعب بالقفص ويختبئ فى غيابة
البهو وتقوم فحمة الليل بمطاردة الأشباح وهى
تصرخ فى وجه تيلتل •

فحمة الليل : اسرعوا اسرعوا ، اغلقوا الباب والا خرجوا جميعا
ولم نستطع أن نقبض عليهم • انهم فى محبسهم
يعانون الملل منذ ألف الانسان أن يهزأ بهم
(تطارد الأشباح وتحاول أن تسوقهم الى باب
محبسهم مستعينة بسوط على شكل أفعى)
أعينونى ، أعينونى ، من هنا ، من هنا •

هو : (الى الكلب) أعنيها يا تيلو ، هيا •

الكلب

: (وهو يقفز وينبح) نعم • نعم • نعم •

هو

: الرغيف ، أين هو ؟

الرغيف

: (من مخبئه فى غيابة البهو) انسى هنا ، بجانب

• الباب حتى أمنع بقيتهم من الخروج •

(وحين يتقدم أحد الأشباح الى ناحيته
نراه يهرب منه جريا وهو يطلق صيحات
مرتعبة) •

فحمة الليل

: (الى ثلاثة أشباح قبضت على أعناقهم) أما أنتم

فمن هنا ، (الى تيلتيل) وارب الباب قليلا ،

(تدفع بالأشباح الى الكهف) لا خير من بقائهم

هناك ، (الكلب يسوق شبحين آخرين الى المحبس)

هيا ادخلا أنتما أيضا ، أنتم تعلمون أن لا خروج

لكم الا يوم عيد جميع القديسين (تقفل الباب) •

هو

: (يذهب الى باب آخر) وماذا وراء هذا الباب ؟

فحمة الليل

: وما جدوى بحبك ؟ لقد قلت لك ان الطائر

الأزرق لم يأت هنا قط ، ولكن الأمر أمرك ،

افتحه ان كان هذا يروقك • ستجد من وراءه

• الأمراض •

هو

: (والمفتاح فى القفل) أينبغى الاحتراس منها حين

أفتحه ؟

فحمة الليل : لا تتعب نفسك ، انها يا ولداه صغيرة مسكينة هادئة

مستخذية لا تعرف طعم السعادة فان الانسان يشن
عليها منذ زمن غاراته العنيفة وبالأخص منذ أن
اكتشف الميكروب ، فافتح اذن لترى بنفسك •

(تيلتيل يفتح الباب على مصراعية فلا
يرى شيئاً) •

هو : أ هم لا يخرجون ؟

فحمة الليل : لقد سلف لى أن أخبرتك ، فأغلبها قد أقعدته
العلة وقلة الهمة ، لأنها لم تجد فى قلوب
الأطباء أقل ذرة من الرحمة ، فادخل لحظة
فسترى بعينك •

هو : (ما يكاد يدخل حتى يخرج) لم أجد الطائر
الأزرق ، ان الأمراض بادية العلة لم تقو حتى
على رفع رؤوسها •

(مرض صغير فى مباله من ثياب المنزل
خف وعباءة وطاقية من القطن يخرج ويندع
البهو جيئة وذهاباً) •

هو : انظروا ، هذا مرض صغير قد هرب ، من هو ؟

فحمة الليل : انه أصغرهم ولا خطر له ، هو الزكام • انه أقلهم
لقاء للاضطهاد ، وأوفرهم عافية • (تنادى الزكام)

تعالَ هنا يا ولدى ، قد بَكَرتَ فى الخروج قبل
أوانك ، ينبغي لك أن تنتظر حلول الربيع •
يعطس ويسعل ويمسح أنفه ويعود الى الكهف
فيغلق تيلتيل بابه •

الزكام

هو : (يتجه الى الباب المجاور) لنرَ حكايته ، ما وراء
هذا الباب ؟

فحمه الليل : اجترس • وراء الحروب ، انها بلغت اليوم ما لم
تبلغه من قبل من الضراوة والغفوان ، الله وحده
يعلم ماذا عسى أن يحدث لو هربت واحدة منها
ولكنها لحسن الحظ مفرطة البدانة من أثر
التخمة ، ثميّة الحركة ، فلتساند جميعا ونستعد
لصد الباب وأنت تواربه لتلقى نظرة عجلى الى
ما وراءه •

(تيلتيل يأخذ كل حذره وهو يوارب
الباب بحيث لا ينفرج الا بأقل قدر يتيح له
أن يصوب من خلاله نظره ، فما يكاد يفعل
حتى يقوس ظهره من شدة الجهد وهو يصد
الباب ويصرخ) •

هو : أسرعوا أسرعوا أسرعوا ، صدوا الباب فى
وجوههم ، قد رأنتى فأقبلت هاجمة على الباب تريد
أن تفتحهم •

فحمة الليل : هيّا بنا جميعا نصدّ عليها الباب بقوة ، وأنت يا رغيف ، ماذا دهالك ؟ ماذا تفعل ؟ تعال معنا نصدّ الباب جميعا فما أشدّ قوّتها ، ها قد نجحنا . انها قد استسلمت ، جاء نجاحنا في آخر فرصة ، (الى تيلتيل) أرايت ؟

هو : نعم ، ما أشدّ ضخامتها وما أبشع منظرها ، لا أظن أن الطائر الأزرق عندها .

فحمة الليل : لا ريب انه ليس عندها ، والاّ لكانت التهمته على الفور ، هل قنعت الآن ؟ أأست ترى أن لا جدوى من بحثك ؟

هو : ينبغي أن أرى كل شيء ، هذه هي وصية بسمّة النور الىّ .

فحمة الليل : وصية بسمّة النور ! ما أسهل الكلام على مَنْ يخاف ويقبع في داره .

هو : فلنمضِ الى الباب المجاور . ما خبره ؟

فحمة الليل : اننى أحبس وراءه أصناف الدياجير والرغب .

هو : هل أستطيع أن أفتح الباب ؟

فحمة الليل : كل الامتطاعة ، فانها على شيء من الهدوء ، شأن الأُمراض .

(تيلتيل يفتح الباب بتوجس ويجازف
بنظرة الى ما وراءه) .

هو : لا أرى شيئاً • انها ليست وراء الباب •

فحمة الليل : (تنظر بدورها الى الكهف) يا بنات الدياجير ،

ماذا تفعلن فلتخرجن اذن قليلا ، ففى الخروج
متعة لكن ، تفكّ عنكن تجمّد أوصالكن ،
ويا بنات الرعب ، لا تخشين شيئاً •

(تخرج بنات الدياجير وبنات الرعب ،
الجماعة الأولى فى ثياب سود ، والجماعة
الثانية فى ثياب يميل لونها الى الاخضرار ،
ويتلمسن بمذلة خطوة لهن قصيرة خارج
الباب فاذا صدرت من تيلتيل حركة غير
متعمدة يسرعن الى دخول الكهف) •

فحمة الليل : ماذا أصابكن ، تجلّدن قليلا ، فليس هو الا صبي •

لا يخرج من يده ايذاؤكن ، (الى تيلتيل) قد
بلغ التهيب عندهن ذروته ، اللهم الا كبرياتهن
اللاتى تبصرهن فى غيابة الكهف •

(تيلتيل يصبو نظره الى غيابة الكهف)

هو : ما أبشع منظرهن •

فحمة الليل : انهن مقيدات بالسلاسل ، هن وحدهن اللاتى

لا يخفن من الانسان ، اقفل الباب والاّ نار
غصبن •

هو : (ينتقل الى الباب المجاور) هذا باب يخيم عليه
الظلام ، ما خبره ؟

فحمة الليل : وراءه أصناف من الأسرار ، فاذا لم تعدل عن
أصرارك فلك أن تفتح الباب ولكن ايباك أن تدخل ،
وكن أشد حذرا ، ولنستعد نحن جميعا لصد
الباب عليها كما فعلنا مع الحروب •

(تيلتيل يوارب الباب بحذر شديد ويمد
بخوف رأسه من خلال الفرجة) •

هو : وى ، ما أشد البرودة ، انها تلسع عيني ،
أسرعوا الى الباب فاعلقوه ، صدوه لاحباط جهد
من يدفعه ، (فحمة الليل والكلب والهرة وباقي
الزمرة يصدون الباب) آه ، قد رأيت ••

فحمة الليل : ماذا رأيت ؟

هو : (وهو مضطرب) لا أدري ، انه شيء مرعب ،
كن جميعا جالسات كالأصنام التي لا عيون لها •
من كان هذا العملاق الذي أراد امساكي ؟

فحمة الليل : أظنه هو الصمت لأنه حارس هذا الباب ، لا ريب
انك رأيت شيئا مرعبا فلا زلت لا يفارقك شحوبك
وارتعاشك •

هو : نعم ، رأيت شيئا لم أكن أتصوره ، شيئا لم

يصادفني قط من قبل ، ان يدى قد جمدتا من
الصقيع •

فحمة الليل : سيحقيق بك عما قريب بلاء أشد اذا مضيت فى
بحثك •

هو : (ينتقل الى الباب المجاور) وهذا الباب •• آمن
ورائه أيضا شيء مخيف ؟

فحمة الليل : كلا ، وراءه خليط من أشياء كثيرة ، انى أحتفظ
وراءه بالنجوم الحامدة ، وعطورى المفضلة ، وبعض
أصناف من الوميض الذى اختص به وحدى
كوميض السعالى ووميض الدود المنير واليراعة
المضيئة وأضم إليها أيضا قطر الندى وأغنية البلبل
وما الى ذلك •

هو : نعم قصدى أن أرى النجوم الخاية وأغنية البلبل
كما تزعمين ، لا ريب ان هذا هو بابها •

فحمة الليل : افتحه ان شئت فليس لمن وراءه شر يصيب
أحدا •

(تيلتيل يفتح الباب على مصراعيه وما
يكاد يفعل حتى تنفلت النجوم من المحبس
على هيئة فتحات رائعات الجمال ، يجلهمن
وميض منوع الألوان ، وتنتشر فى البهو
وتؤلف على الدرج وحول الأعمدة حلقات

ذات ظرف وحسن ، يغمرهن ضوء مثل
ضوء الغسق ، ثم تبدأ في رقصة دائرية ،
وتنفلت أيضا عطور فحمة الليل على هيئة
أطياف رقت حتى تكاد العين لا تراها ،
وينفلت كذلك وميض السعالى واليراعة
المضيئة وقطر الندى الشفاف وتنضم الى
سابقاتها ، على حين تنبعث من الكهف أغنية
البلبل وتجوب أرجاء قصر فحمة الليل) •

ميتيل : (وهى تصفق بانبهار) ما أجملهن من فتيات •
هو : ما أبرع رقصهن !
هى : وما أطيب عرفهن !
هو : وما أحلى غناءهن •
هى : ومن هى هذه الأطياف التى تكاد العين لا تراها •
فحمة الليل : هى عطور ظلالى •
هو : وهاتيك اللاتى يشبهن سبائك النور الصافى ، من
هن ؟

فحمة الليل : انهن جماعة قطر الندى الذى تألفه الغابات
والسهول ولكن آن للهوهن أن ينقضى ، سيتمادين
فيه فلا يفرغن منه أبدا ، انهن اذا أخذن فى
الرقص فلن أفلح الا بعد مشقة بالغة فى سوقهن
الى المحبس من جديد (تدعوهن الى الانصراف
بدق كفّ على كفّ) هيا هيا اسرعن يا نجوم ،
ليس هذا أوان الرقص فالسماء قد حجبها سحب

كثيفة ، هيا هيا اسرعن ارجعن جميعا والا ذهبت
أتصيّد شعاعا من الشمس •

(النجوم والعطور تهرب في رعب وتهرع
الى الكهف فينقفل عليها الباب وتنقطع أغنية
البلبل) •

هو : (يتجه الى الباب الكبير في غيابة البهو) هذا هو
الباب الكبير ، باب وسط البهو •

فحمة الليل : (بجِدّ) لا تفتح هذا الباب •

هو : لماذا ؟

فحمة الليل : لأن فتحه مُحَرَّم •

هو : اذن فالطائر الأزرق مخبئ وراءه ، هذا ما قالته
لى بسمّة النور •

فحمة الليل : (تكلمه بخنان الأم) أنصت الىّ يا بنى ، لقد
عاملتك بطيبة ومجاملة ، وفعلت لك ما لم أفعله
هنا لأحد من قبلك ، كشفت لك عن أسرارى ،
لأننى أحبك وأشفق على صباك وبراءتك ،
وها أنذا أكلّمك كلام أمّ لوليدها ، انصت الىّ ،
صدقنى يا بنى ، كف عن بحثك ولا تمض فيه ،
اياك أن تتحدى القدر فتفتح هذا الباب •

هو : (وقد تزعزع كثيرا) ولكن لماذا ؟

فحمة الليل : لأننى لا أحب لك أن تهلك ، لا أحد ، اسمع

كلامى ، لا أحد ممن فتحوا هذا الباب ولو بمقدار شعرة رجع حيًا لضوء النهار ، فإن كل ما يتصوره العقل من أصناف المخاوف وكل أنواع الهلع ، وكل ما يتحدث عنه أهل الأرض من الأهوال البشعة المنكرة لا تعدّ شيئًا مذكورًا إذا قيست حتى بأهون ما يهاجم الإنسان منها إذا ما لمحت أول نظرة له حافة الهاوية التى لا يجرؤ أحد على تسميتها ، ينبغى اتقاء هذا الباب ، حتى أنا ، ان بقيت أنت على اصرارك رغم كل تحذير لن أجسر على التصدى لهذا الباب ولو بلمسة من طرف أصبعى ، فأرجوك أن تصبر حتى ألوذ ببرج لى منيع ليس به نوافذ ، الأمر الآن بين يديك ، وفق عقلك وتفكيرك •

ميتيل (تنفجر باكية وتتوالى من الرعب صرخات لها لا يبين فى طيها كلامها وتجاهد فى جرّ تيلتيل) •

الرجيف : (أسنانه تصطك) لا تقدم يا سيّدى الصغير (يركع أمامه) رحمة بنا ، انى أتوسّل اليك وأنا راكع أمامك ، أنت ترى أن فحمة الليل على حق •

الهرة : ان حياتنا جميعا هى التى تضحّى بها •
هو : لا مفرّ من أن أفتح الباب •

ميتيل : (بدنھا) يتنفّض من النشيج لا أريد ، لا أريد •

هو : ليأخذ كل من الرغيف وقمع السكر أختي ميتيل

من يد للهرب معها فاني عامدٌ الى فتح الباب •

فحمة الليل : ليهرب من قدر ، سارعوا الى الخروج ، فقد

آن الأوان •

(تهرب فحمة الليل) •

الرغيف : (يهرب في دعر) انتظر حتى نبلغ على الأقلّ

باب البهو •

انهرة : (تهرب أيضا) انتظر ، انتظر •

(يختبئون وراء الأعمدة في الطرف الأدنى

من البهو ويبقى تيلتيل وحده مع الكلب

بجانب الباب الكبير) •

الكلب : (يلثم ويلحقه الفواق وهو يجاهد في كتم

هلهله) أما أنا فسأبقى ، سأبقى ، لست بخائف ،

سأبقى ، سأبقى الى جانب مولاي الصغير سأبقى ،

سأبقى •

هو : (يربت عليه) أحسنت ، أحسنت ، تعال يا تيلو

قبلي ، هانحن قد أصبحنا لا ثالث لنا فلنتجلّد ،

والا فالويل لنا • (يضع المفتاح في القفل فتبعث

صرخة رعب من الطرف الأدنى للبهو حيث لاذ

الهاربون ، وما يكاد المفتاح يلمس القفل حتى
 ينشق الباب الكبير من وسطه وينزلق مصراع الى
 اليمين ومصراع الى اليسار ويختفيان داخل جدار
 الباب فستبين فجأة حديقة مذهشة كأنما أبدعتها أرواح
 الأحلام وجللتها بضياء الغسق ، جاوزت في
 جمالها حدّ كل تصديق وكل قيد وكل وصف
 بالكلام ، تحلق بها خلال الكواكب والنجوم
 سروب من طيور زرق كأنها الحور تضيء كل
 شيء تلمسه وهي لا تنفك في طيرانها تلم بجوهرة
 اثر جوهرة وتتنقل من شعاع اثر شعاع من أشعة
 القمر ، وهي تحوم دواما وفي انسجام حتى تبلغ
 حدّ الأفق ، أصبحت من كثرتها يُظن انها
 أنفاس هذه الحديقة المدهشة وسماؤها الزرقاء ،
 بل يظن انها هي الحديقة ذاتها ، تيلتل واقف
 يغمره ضوء الحديقة وهو منبهر في ذهول .

هو : ما أبدعها من سماء (يَلْتَقُ ناحية الهاربين)
 اسرعوا ، تعالوا ، الطيور الزرق هنا ، بعينها
 وذاتها ، لقد فرنا بها أخيرا ، آلاف من الطيور
 الزرق ، بل ألف ألف منها ، عندنا منها هنا أكثر
 من مطلبنا بكثير ، تعالى يا ميتل ، تعال يا تيلو ،
 تعالوا جميعا ، أعينوني (يندفع نحو الطيور) انها

فى متناول اليد • طيعة لا ترهبنا ، تعالوا من هنا
 (تسرع اليه ميتيل يرافقها الآخرون ويدخلون
 الى الحديقة المدهشة ولا تتخلف عنهم الا فحمة
 الليل والهرة) انظروا ، انظروا ، ما أوفر
 عددها ، انها تتهاوى على أكثافنا ، انظروا ، انها
 تأكل ضوء القمر ، ميتيل ، أين أنت اذن ، من
 كثرة الأجنحة الزرق وريشها المتساقط أصبحت
 لا أتبين شيئا سواها ، اياك أن تعضها يا تيلو ،
 لا تؤذها تناولها برفق •

ميتيل

: (تحف بها الطيور الزرق) اقتنصت سبعة منها •
 كم تصفق أجنحتها ، ان يدى لا تفلح فى القبض
 عليها •

هو

: وأنا كذلك ، فقد أمسكت منها بعدد أكثر من ملء
 يدى ، ها هى قد هربت ، ها هى قد عادت ، وتيلو
 كذلك قد أمسك ببعضها ، انها تجرفنا معها وتكاد
 تحملنا الى السماء ، تعالوا نخرج من هنا ، ان
 بسمة النور تنتظرنا ، ما أشد سرورها حين ترى
 غنيمتنا ، من هنا ، من هنا • (يغادرون الحديقة
 فى لهفة وأيديهم مלאى بطيور زرق تصفق أجنحتها
 ويحترقون البهو وسط موجة من أجنحة مضطربة

ويخرجون من ناحية اليمين من حيث دخلوا من
قبل ، وراءهم الرغيف وقمع السكر ولم يمسك
أحدهما بطائر • وتبقى فحمة الليل والهرة
وحدهما فتصعدان الى غيابة البهو تتأملان الحديقة
بقلق) •

فحمة الليل : أنراهم قد فازوا بالطائر الأزرق ؟

الهرة : كلا ، فاني أراه فوق شعاع من أشعة القمر لم
تطله أيديهم لأنه جاوزها بارتفاعه •

(وتهبط الستار فلا تلبث ان تدخل
بسمة النور من اليسار أمامها في عين الوقت
الذى يدخل فيه من اليمين أمام الستار كل
من تيلتيل وميتيل والكلب وهم يندفعون
وأيديهم مثقلة بالطيور الزرق ولكنها أصبحت
جثثا هامدة ، رؤوسها متدلّية وأجنحتها
مخطمة) •

بسمة النور : هل ظفرتم بطائر أزرق ؟

هو : نعم ، نعم ، بقدر ما نودّ ، بل بألف منه ان شئنا ،
ها هي ذى أملك ، هل ترينها ؟ (ينظرون الى
الطيور وهم يمدّون بها الى بسمة النور فيتيّسون
انها فارقت الحياة) ماذا جرى ، انها ماتت ، ماذا
فعلوا بها ؟ طيورك أنت يا ميتيل ، أميّة هي أيضا
طيور تيلو مية كذلك (يُلقي وهو محنق بجثث

الطيور (مستحيل أن أصدق ، يا للبشاعة ! من
الذى قتلها ، اننى جدّ تعيس • « يخفى رأسه
فى ابطه ويتنفّض بدنه بالنشيج » •

بسمّة النور : (تحضنه بحنان الأم) لا تبك يا بنى ، انك لم
تمسك بالطائر الأزرق الذى يقوى على العيش
فى ضوء النهار • لقد أفلت منا ، ولكننا سنجده
ولا ريب •

الكلب : (يتأمل جثث الطيور) أتصلح للأكل ؟
(يخرجون جميعا من اليسار) •

« ستار »

المنظر الخامس

الغابة

(الغابة ، والوقت ليل ، والقمر مضى ،
وأشجار هرمة من أصناف مختلفة ، من
أبرزها شجرة سنديان ، وزان ، ودردار ،
وحور ، وصنوبر ، وسرو ، وزيزفون ،
وقسطل الخ الخ ..) .

• (تدخل الهرّة)

الهرّة : (وهى تحنى رأسها بالتحية والتوقير أمام كل
شجرة) الى كل شجرة هنا ، تحية وسلاما .

الأشجار : (وأوراقها تهمس) تحية لك وسلاما .

الهرّة : يومنا هذا يوم أغرّ ، فان عدونا سيأتى ليفكّ
عقالكن ويسلم اليكن رقبتيه ، انه تيلتيل ابن
الحطاب الذى طالما نالكن بالأذى ، انه يبحث
عن الطائر الأزرق الذى تخفيه عن الانسان منذ
بدء الخليقة ، والذى يعلم وحده سرّنا ، (همس
أوراق الشجر) ماذا تقلن ؟ آه ! انها شجرة
الحور التى تتكلم ، نعم انه يملك الماسة
السحرية التى تكشف عن سريرتنا ، انه قد

يرغمننا على أن ندفع له بالعصفور الأزرق ،
ونصبح جميعاً بعدئذ أسرى في قبضة الانسان وتحت
رحمته ، (همس أوراق الشجر) من تتكلم ؟
أنت يا شجرة السنديان ؟ كيف حالك ؟ (همس
أوراق شجرة السنديان) لا يفارقت الزكام أبداً ؟
هل كفّ الليمون عن علاجك ؟ تشكين دائماً من
الروماتزم ؟ سبيه - صدّقيني - هو هذه
الأعشاب الكثيرة التي تفرطين في لفّ قديمك
بها ، هل الطائر الأزرق ما يزال عندكن ؟
(همس أوراق شجرة السنديان) ماذا تقولين ؟
نعم ، لا مجال للتردد ، هذه فرصة متاحة لنا
ينبغي أن نقتنصها ، لا بُدّ من القضاء على الصبي
(همس أوراق الشجر) ماذا تقلن ؟ نعم ، انه
مع أخته ، ينبغي أن تموت هي أيضاً ، (همس
أوراق الشجر) نعم ، الكلب يرافقهما أيضاً ،
هيهات أن نبعده عنهما ، (همس أوراق الشجر)
ماذا تقلن ؟ نقدم اليه رشوة ؟ هذا مستحيل ، لقد
جرّبنا كل حيلة فلم نفلح ، (همس أوراق
الشجر) ها أنت يا شجرة الصنوبر تتكلمين .
اعددن أربعة ألواح من الخشب لأربعة نعوش ،
فتليل ترافقه أيضاً النار وقمع السكر والماء

والرغيف ، انهم جميعا فى صفنا اللهم الا الرغيف
فهو غير مضمون ، بسمة النور وحدها لها ولاء
للانسان ولكنها لن تأتى فقد قمت باقناع تيلتيل
وأخته بالتسلل خفية حين نامت ، هذه فرصة
فريدة (همس أوراق الشجر) هأنذا أسمع
صوت شجرة الزان ، نعم ، الحق معك ، نعم ،
ينبغى ابلاغ الخبر الى الحيوانات ، هل الأرنب
ما يزال يملك طبلته ؟ انه عندكن ؟ فليدق على
الطبله لينادى جميع الحيوانات ، ها هم أصحابنا
قد أتوا .

(يبتعد صوت دق الطبله ، يدخل تيلتيل
وميتيل والكلب) .

تيلتيل : أهذا هو المكان ؟

(الهرة تسرع فى اهتمام الى لقاءهما
وتفرط فى مظاهر الاحترام لهما والحفاوة
بهما) .

الهرة : ها أنت ذا قد أتيت يا سيّدى الصغير ، ما أجمل
طلعتك وأبهى عافيتك هذا المساء ، لقد سبقتك
لأعلن عن مقدمك ، كل شئ على ما يُرام ،
سنظفر بالطائر الأزرق هذه المرة ، انى واثقة
من ذلك ، لقد بعثت بالأرنب يدق طبلته مناديا
أكابر حيوان هذه المنطقة ، انها متهيبة لا تجسر

على الاقتراب (ضجة أنواع مختلفة من الحيوان
من بينها بقر وجاموس وخنازير وجياد
وحمير الخ الخ) (الهرة تتحى بتليل جانبها
وتهمس له) ولكن لماذا جئت بالكلب ؟ لقد سلف
أن قلت لك انه على خصام مع الجميع ، حتى مع
الأشجار ، وأخشى أن يفسد كل شيء برفقته
الكثية .

هو : لم أستطع التخلص منه (الى الكلب مهددا) هل
لك أن تغرب عني أيها اللعين !

الكلب : مَنْ ؟ أنا ؟ لم ؟ ماذا فعلت ؟

هو : قلت لك أغرب عن وجهي ، أصعبُ عليك أن
تفهم ؟ المسألة بسيطة ، لسنا في حاجة اليك ،
انت تضايقنا باصرارك وقد نفذ صبرنا .

الكلب : سألجم لساني ، سأتبعكم من بعيد فلا يراني أحد،
هل أقف لك على ساقَيَّ وقفة المستجدي ؟

الهرة : (تهمس لتليل) هل تصبر على هذا العصيان ؟
اضربه بعضاك مرارا على أنفه ، انه حقلا لا يُطاق .

هو : (يضرب الكلب) هذا درس يعلمك المسارعة الى
الطاعة .

- الكلب : (يصرخ من الألم) أى ° ، أى ° ، أى ° .
- هو : ماذا تقول ؟
- الكلب : ينبغي أن أقبل اليد التى ضربتني ، ضرب الحبيب
كأكل الزبيب ، (الكلب يغالى فى التمسح بتيلتل
ويرشقه بقبلات حارة .
- هو : رشادك ° ، أحسنت أحسنت ، وهذا يكفى ،
فأغرب الآن عن وجهي .
- ميتيل : كلا كلا ، أريده أن يبقى ، انى أخاف من كل
شئ فى غيبته .
(يثب الكلب الى ميتيل حتى يكاد يوقعها
ويفيض حماسة ولهفة وهو يربت عليها) .
- الكلب : نعم الفتاة الطيبة القلب ، ما أجملها ! ما أطيها ،
ما أجملها وأرقها ، ينبغي أن أقبلك مرة وأخرى .
- الهررة : يا له من غرّ مافون ، لنضع هذا لما بعد ،
ولا نضع الوقت ، (الى تيلتل) أدر الماسة .
- هو : أين ينبغي لى أن أقف ؟
- الهررة : تحت هذا الشعاع من القمر ، اذ تحته تحسن
الرؤية ، نعم هكذا ، أدر الماسة برفق .
- (تيلتل يدبر الماسة فما يكاد يفعل
حتى تدب رعشة فى الغصون والأوراق

وتنشق جذوع الأشجار التى هى أكثر هرما
وضخامة لتلفظ سرائرها المكنونة وكل
سريرة تطابق شجرتها فى الطبع والهيئة ،
فسريرة شجرة الدردار مثلا على هيئة قزم
ممسوخ أكرش لا ينفك يلهث من فرط
بدانته ، وسريرة شجرة الزيزفون مطمئنة
ذات ألف وبشاشة ، وسريرة شجرة الزان
أنيقة خفيفة الحركة ، وسريرة شجرة
التابول بيضاء البشرة متحفظة قلقة ،
وسريرة شجرة الصفصاف مدكوكة مشعثة
الشعر نواحة ، وسريرة شجرة الصنوبر
هيفاء ممشوقة القامة ذات تكتم وصمت ،
وسريرة شجرة السرو ذات شجن يوحى بجو
مأساة ، وسريرة شجرة القسطل ذات غرور
وحذقة ، وسريرة شجرة الحور ذات مرح
ونزوات وثرثرة ، بعض السرائر تخرج من
جذوع الأشجار متناقلة مجمدة الأوصال
فتتمطى كأنها تنفلت من قيد أو كرى طال
دهورا ، وبعضها يخرج قفزا فى نشاط
ويقظة وعجلة ، وتلزم كل سريرة ما أمكنها
جوار الشجرة التى ولدتها) •

شجرة الحور: (وهى أول من ينطلق وتصرخ بصوت عال)

جاءنا أناس ، جاءنا أناس فى سنّ الصبا ، سيتاح لنا
أخيرا أن نتكلم ، قد انتهى عهد الصمت ، انتهى ،
من أين أتيا ؟ ما شأنهما ؟ من هُما (تتقدم شجرة
الزيزفون على مهل وهى تدخن غليونها بهدوء)
أتعرفينهما أنت يا شجرة الزيزفون ؟

شجرة الزيزفون : لا أذكر أننى رأيتها من قبل •

شجرة الحور : كيف ؟ رأيتها من قبل ولا ريب فأنت تعرفين

الناس جميعا فمقامك دائما بجوار بيوتهم •

شجرة الزيزفون : (تتفحص الصبيين) أوكد لك اننى لا أعرفهما ،

فهما لا يزالان صبيين ، اننى لا أعرف الا العشاق

الذين يأتون لزيارتى فى ضوء القمر ، السكارى

الذين يشربون البجعة تحت غصونى •

شجرة القسطل : (فى أنفة وهى تُحكم فى كبرياء مصطنعة وضع

نظارتها الفرد فوق عين لها) ما الذى أرى ؟ انهما

من الفقراء ، من الفلاحين •

شجرة الحور : بعض هذا التعاطف يا ذات الصون والعفاف ، هذا

دأبك مذ ترفعت الا عن سكنى الشوارع الفسيحة

فى العواصم •

الصفاف : (تتقدم وهى نواحة ، فى قدميها خفّان من

خشب) يا الهى ، يا الهى ، لقد عاد الانسان مرة

أخرى ليقطع رأسى وأوصالى ويحملها حطباً له •

شجرة الحور : اصمتى ، ها هى شجرة السنديان تخرج من

قصرها ، انها عليقة هذه الليلة ، ألا ترونها

قد شاخت ؟ كم يبلغ عمرها فى ظنكن ؟ تقول

شجرة الصنوبر عنها ان عمرها أربعة آلاف سنة ،

ولكنى واثقة أنها تغالى ، انتبهن ، ان شجرة
السنديان ستفضى لنا بخبرها •

(تتقدم شجرة السنديان يهدوء ، لامثيل
لهرمها الا فى تهاويل الأساطير والخرافات ،
على رأسها تاج من النباتات ، وعلى بدنها
ثوب طويل أخضر مزركش بالأعشاب ، هي
عمياء ، شعرها الأشعث متهدل حول وجهها ،
تعتمد يد لها على عصا معقدة ، ويد أخرى
على شجرة سنديان صغيرة تقود خطاها ،
الطائر الأزرق حاطط على كتفها ، وحين
تقترب تصطف بقية الأشجار وتنحنى لها
تبجيلا واحتراما) •

تيلتيل : الطائر الأزرق عندها (الى شجرة السنديان)

اسرعى ، اسرعى ، تعالى من هنا ، اعطنى الطائر •

الأشجار : اصمت ، انها شجرة السنديان •

شجرة السنديان : (لتيلتيل) من أنت ؟

هو : أنا تيلتيل يا سيّدتى ، متى أستطيع أخذ الطائر
الأزرق ؟

شجرة السنديان : تيلتيل ابن الحطاب ؟

هو : نعم سيّدتى •

شجرة السنديان : قد أصابنا على يد أهلك شرّ كبير ، فقد صرع من

أسرتى ستمائة من أنبائى ، وأربعمائة وخمسة
وسبعين من أعمامى وعمّاتى ، وألفاً ومائتين من

أولادهم ، وثلاثمائة وثمانين من زوجات أبنائى
واتنى عشر ألفا من أحفادى •

هو : لا أعرف هذا يا سيّدى ، غير أنه لم يصرعهم
عمدا •

شجرة السنديان : ماذا جئت تفعل هنا ؟ ولماذا أطلقت سرائر
الأشجار من مكانها ؟

هو : عفوا سيّدى اذا كنت قد أزعجتكن ، هى الهرة
التي قالت لى أننى سأعرف منكن أين هو الطائر
الأزرق •

شجرة السنديان : نعم ، أعلم هذا ، انت تطلب الطائر الأزرق وهو
السرّ الأعظم للأشياء كافة ، وهو سرّ السعادة
أيضا ، وبذلك يتاح للإنسان حين يملكه أن يشد
فى تطويقنا بأغلال الأسر والعبودية •
هو : كلاً يا سيّدى ، وانما أطلبه لبنت الساحرة
غرباوية فانها جدّ مريضة •

شجرة السنديان : (تومىء اليه أمرة بالصمت) كفى ، مالى لا أسمع
الحيوانات ؟ أين هم ؟ فان حكايتك تهمهم كما
تهمنا ، وينبغى اذن أن لا يقع على عاتق الأشجار
وحدها اتخاذ القرارات الخطيرة التي يتطلبها
الموقف ، فلو علم الناس ما نحن مقدمات على فعله

لا تنتقموا منا بقسوة ، فينبغي اذن أن تكون خطتنا
مرسومة باتفاق الجميع ليصحّ تعهد الجميع
بكتمان السرّ والتزام الصمت •

شجرة الصنوبر : (تمد نظرتها وهي تعلو بقية الأشجار)

الحيوانات قادمة وراء الأرنب ، هذه هي سريرة
الجواد والثور والجاموسة والبقرة والذئب والحمل
والديك والغنز والحمار والدبّ ، وكلما ذكرت
شجرة الصنوبر اسما لحيوان دخلت سريرته ثم
تجمعت السرائر وجلست بين الأشجار اللهم
الا سريرة الغنز فانها أخذت تتوآب هنا وهناك
والا سريرة الخنزير فانها عمدت الى نبش جذور
الأشجار •

شجرة السنديان : هل حضر الجميع ؟

الأرنب : الدجاجة اعتذرت بأنها راقدة على بيضها ،
والأرنب البرّي بأن وراءه مشوارا ، والغزالة
بألم في قرنيها ، والثعلب بأنه مريض ، وأرسل
شهادة بذلك من طبيبه ، أما الأوز فلم تفهم ،
والديك الروميّ انفجر غاضبا •

شجرة السنديان : تخلّف هؤلاء يؤسف له كل الأسف ، ولكن
عدد الحاضرين كاف لعقد الاجتماع • يا أخواتي

انتم تعلمون المسألة • هذا الصبيّ الذى أمامكم
 يستطيع أن يضع يده على الطائر الأزرق بفضل
 طلسم اختلسه من قُدرة الأرض وبذلك ينتزع
 منا السرّ الذى حرصنا على اخفائه منذ بدء
 الخليقة • ونحن على علم بالانسان بحيث
 لا يخامرنا أقلّ شكّ فى المصير الذى ينتظرنا ،
 اذا تملك هذا السرّ • من أجل ذلك فان كل
 تردد من جانبنا هو فى نظرى جرم وحماسة ،
 الساعة خطيرة ، وينبغى القضاء على الصبي قبل
 فوات الوقت •

تيلتيل : ماذا تقول ؟

الكلب : (يدور حول شجرة السنديان وهو مكشّر عن
 أنيابه) هل ترين أسناني أيتها العجوز الكسيحة ؟

شجرة الزان : (فى حنق) انه يهين شجرة السنديان •

شجرة السنديان : أهذا هو الكلب ؟ اطرده ، ينبغى لنا أن لا نصبر
 على اندساس خائن بيننا •

الهرة : (تهمس الى تيلتيل) أبعد ! هذا سوء تفاهم دعه
 لى فانى سأعالج الأمر ، ولكن ينبغى أن تسرع
 فى اقضاء الكلب •

هو الكلب : (الى الكلب) ألا تنصرف ؟
دعنى أمزق خفىّ هذه الكسحانة وسنضحك مما يحدث لها •

هو الكلب : احترس وانصرف ، انصرف يا قح يا ثقیل الدم •
طیب طیب ، سأنصرف وسأعود حين تحتاج الى •
الهرة : (تهمس الى تيلتيل) من الأحوط أن تقيده والا عاد لحماقاته ، ان الأشجار تغضب وتكون العواقب وخيمة •

هو الكلب : ماذا أفعل ؟ لقد أضعت سلسلته •
(وهو يزمر يهدد شجرة السديان) سأعود ، سأعود يا مقطوعة النفس يا فريسة الربو ، تبا لكن من أشجار كسيحات فى سن اليأس ، ان الهرة هى رأس المؤامرة ، سأصفى الحساب معها ذات يوم ، فىم همسك ووسوستك يا خائنة ، يا لئيمة ، (ينبجها) •

الهرة : (لتيلتيل) أرايت كيف يهين الجميع ؟
هو : هو حقا لا يطاق ، انه يشوش علينا فلا نسمع ما يقال ، سيدى اللباب ، هل لك أن تقيده ؟
اللباب : (يتقدم بحذر الى (الكلب) هل يعرض ؟

الكلب : (وهو يزمرجر) على العكس ، على العكس ، ان
الكلب سيقبلك انتظر فسوف ترى ما يحدث
لك • اقرب • اقرب قليلا أيها الوغد بأحاييلك
العتيقة •

هو : (يهدّده بالعصا) تيلو !
الكلب : (يجثم تحت قدمي تيلتليل ويهزّ ذيله) ماذا تريد
منى أن أفعل يا مولاي الصغير •

هو : ارقد على بطنك وأطع اللبلاب ودعه يقيّدك
والاّ ••

الكلب : (يزجر واللبلاب يقيّده) أوصالك خيوط مزقة
يا جبل المشقة ، يا مقود الثور ، يا سلسلة
الخنزير ، انظر يا مولاي الصغير ، انه سيلوى
ساقى •

هو : جزاءً وفاقاً فهذا ما كنت تطلب ، اخساً واهداً ،
فأنت لا تطاق •

الكلب : لا أبالي ، ولكنك مخطيء ، انهم يضمرون لك
أسوأ النيات فاحترس يا مولاي الصغير ، ها هو
يكمّم فمى فلن أستطيع الكلام •

اللبلاب : (وقد كوّر الكلب بعد شدّة وثاقه) أين أمضى
به ؟ لقد أحكمت وثاقه ولن يفتح فمه •

شجرة السنديان : اربطه باحكام وراء جذعى وشده الى أضخم

جذورى ، وستدبر مصيره فيما بعد •

(يستعين اللبلاب بشجرة الحور ويحملان
الكلب ويضعانه وراء جذع شجرة السنديان)

شجرة السنديان : هل فرغتما ؟ حسنٌ ، الآن وقد تخلصنا من

هذا الشاهد المقلق ، هذا الخائن ، فلتتشاور فيما

يقضى به الحق والعدل فى نظرننا ، لا أخفى عليكم

ما أحسن به فى أعماقى من احتياج مُضْنٍ ،

فهذه هى أول فرصة يتاح لنا فيها أن نحاكم

الانسان ، وأن نشعره بسطوتنا ، أظن ان

الانسان بعد كل الذى ذقناه على يديه من الشرور

ومن المظالم الفادحة لا يخامرهُ أدنى شك فى

الجزاء الذى يستحقه •

كل الأشجار نعم ، نعم ، هو يعلم الآن علم اليقين ، الى المشنقة ،

وكل الحيوانات

الى الموت ، لظالما ظلمنا ، وظالما سدر فى

غلوائه ، لقد نفذ صبرنا ، فلنسحقه ونلتهمه ،

فورا ، فورا • •

هو : (للهرة) ماذا جرى لهم ؟ انهم غاضبون •

الهرة : لا تنزعج ، انهم غضاب لأن الربيع قد تأخر

قدومه دع الأمور لى ، وسأعالجها جميعا •

شجرة السنديان : كان حتما أن يصدر حكمنا باجماع الآراء ،
وبقى علينا أن نعرف اذا شئنا تجنب ثأر الانسان
كيف نختر من بين طرائق القتل أحكمها
وأسهلها وأسرعها وأضمنها وأقلها دلالة على
التهمة اذا ما عثر الناس على جثتي الصيين في
الغابة .

هو : ما هذا كله ؟ ما هدفهم ؟ لقد بدأت أضيق ذرعا
بهم ، ما دامت شجرة السنديان عندها الطائر
الأزرق فلتسلمه الى .

الثور : (يتقدم اليه) أيسر طرائق الموت وأحكمها أن
أطعنه بقرني في بطنه ، فهل تريدون أن أنطحه؟

شجرة السنديان : من الذي يتكلم ؟

الهرة : انه الثور .

البقرة : الأفضل لي أن أنأى عن المتاعب فلا دخل لي في
هذا الموضوع ، واني منصرفه الى أكل هذا
العشب كله في المراعى التى ترونها في زرقة
القمر ، أن ورائى عملا طويلا يشغلنى .

الجاموسة : وكذلك أنا ، واني على كل حال أقرّ مقدما كل
شئء تفعلونه .

شجرة الزان : انى أقدم أعلى فروعى ليشنق عليها .

البلاب : وأكون أنا جبل المشنقة •

شجرة الزان : وأمدّكم أنا بألواح للنعوش الأربعة الصغيرة •

شجرة السرو: وأهبيء أنا لهم قبرهم الأبدى •

شجرة الصفصاف: أسهل الطرائق أن نفرقهم فى أحد الأتهار التى
أطلّ عليها ، دعوهم لى •

شجرة الزيزفون : (وهى تمهّد للصّاح) رشادُكم رشادكم ،

أحتم أن نلجأ للغف ، انهما ما يزاالان فى نضارة

الصبا ، ونحن نقدر بسهولة أن نغلّ أيديهما عن

أحداث الشرّ بأن نبقّيهن أسرى داخل سياج

أتولى أنا بنفسى إقامته من ضلوعى •

شجرة السنديان : مَنْ التى تتكلم هكذا ؟ (يدلنى صوتها المعسول

انها شجرة الزيزفون) •

شجرة الصنوبر : صدقت •

شجرة السنديان : اذن نكبنا كالحيوان باندساس خائن بيننا ، لقد

ظفرنا الى اليوم بولاء جميع الأشجار اللهم الا

أشجار الفاكهة وهى على كل حال لا تعدّ فى

الحقيقة أشجارا بمعنى الكلمة •

الخنزير : (يدير مقلتين صغيرتين نهمتين) أما أنا فأظن انه

ينبغى أوّلا أن نلتهم البنت الصغيرة فلا بدّ أن

لحمها طرى •

تيلتيل : ماذا يقول هذا الأحمق ؟ انتظر قليلا يا ...

الهره : لا أدري ماذا دهاهم ، ان مسلكهم لا يبشّر بخير
شجرة السنديان : سكوت ! المسألة الآن هي أن نعرف من ينال
شرف توجيه أول طعنة ومن يزيح عن هامتنا أكبر
خطر يتهددنا منذ ولد الانسان •

شجرة الصنوبر : هذا الشرف حق لك فأنت أمنا وسيدتنا •

شجرة السنديان : أهذه شجرة الصنوبر التي تتكلم ؟ اننى مع
الأسف عجوز طاعنة فى السن ، عمياء عليلة ،
وأصبحت أوصالى من الخدر تأبى أن تطيعنى ،
كلاّ ، بل أنت يا أختى يا شجرة الصنوبر وأنت
دائما مخضرة ، مستقيمة لا تعرف الانحراف ،
شهدت عيناك مولد أغلب هذه الأشجار ، أنت
أحقّ بدلى بمجد تحريرنا جميعا •

شجرة الصنوبر : شكرا لك يا أمى المبجلة ، ولكن ما دمت قد نلت
أنا شرف اعداد قبر لهذين الصغيرين فانى أختى
اذا وقع اختيارك علىّ أن أثير غيرة زميلاتى ،
وأظن اذا تنحينا نحن الاثنتين عن هذا الشرف
فان الجديرة بعدنا هي شجرة الزان ، لأنها
تفوقنا عراقة ، ثم ان ضربتها أشدّ لأنها أصلنا
• عودا •

شجرة الزان : لا يغيب عنكم ان السوس قد نخر أوصالى وأن
ضربتى لم تعد مُحكمة ، أما شجرة الدردار
وشجرة السرو فلهما سلاح ماضٍ •

شجرة الدردار : ليس أشهى علىّ من نوال هذا الشرف ولكنى
أكاد لا أحسن صلب عودى ، وقد قرض فأر هذه
الليلة ابهام قدمى •

شجرة السرو: أما أنا فعلى استعداد ، ولكنى على غرار أختى
شجرة الصنوبر اذا فاتنى شرف اعداد القبر فاتنى
سأحظى على الأقلّ بميزة الانفراد بذرق
الدموع على هذا القبر وليس من العدل أن
أجمع بين وسامين • واسلاً شجرة الحور •

شجرة الحور : أنا ؟ هل اتجه ذهنكما الىّ ؟ ولكن خشبى طرىّ
شأن لحم الأطفال ، ثم انى لا أدري ماذا دهانى ،
انى أرتجف من الحمى ، انظروا الى أوراقى ،
لا بد أن البرداء أصابتى اليوم عند الفجر •

شجرة السنديان : (تنفجر غاضبة) أنت ترهبين الانسان حتى هذين
الصيين الغريرين ، وكلاهما مضيع أعزل من
السلاح ، انهما ينفخان فى قلبك بهذا الرعب
الخفىّ الذى طالما طوّقنا بما نحن فيه من
ذُلّ ورقّ ، انى أرفض هذا الكلام ، كفى ،

ما دام الأمر كذلك وما دامت الفرصة المتاحة هي
فرصة العمر فسأَمْضِي أنا وحدي ، أنا العجوز
الكسيحة المرتعشة العمياء للاقتصاص من عدوِّنا
الأزلى • أين هو ؟

(تنهادى بحذر على عصاها وتقدم نحو
تيلتيل) •

هو : (يستلّ السكين من جيبه) منى وحدي تريد أن
تقص هذه العجوز أمّ الثبوت الضخم •

(تند من بقية الأشجار صرخة فزع
لرؤية السكين ، هي في يد الإنسان سلاح
يجارون في سره ، بتار لا يقاوم ، فيتوسطن
بين الاثنين ويمسكن شجرة السنديان) •

الأشجار : السكين ! احترسى ، السكين •

شجرة السنديان : (وهي تدافعهن) أترككني ، فما الجدوى ، ان
نجوت من السكين فلن أنجو من البلطة ، مَنْ
التي تمسك بي ؟ أأنتن جميعا هنا ؟ ماذا ؟ أهذا
اتحاد ممكن على نية واحدة • (تقذف بعصاها)
اذن لتكن مشيئكن ، والعار لنا جميعا ، لن
ينقذنا بعد الا الحيوان •

الثور : نعم هو هذا ، أنا لهما ، فبنطحة واحدة من قرني
(تعمد البقرة والجاموسة الى شدّه من ذيله) •

البقرة والجاموسة :

لماذا تحشر نفسك ، اياك والحماقة ، هذه مسألة
وخيمة العواقب سندفع نحن غُرمها ، دعها اذن
للحيوانات الضارية فهذا هو شأنها •

الثور :

كلا كلا بل شأنى أنا ، اصبرافتر يا ، ولكن اذا
لم تمسكا بى فقد تقع نكبة •

تيلتيل :

(الى ميتيل وقد انبعث منها صرخة حادة)
اختبئى ورائى ، لا خوف وهذه السكين فى يدي •

الديك :

شجاعة هذا الصبى يا لها من شجاعة ••

هو :

هل قرّ قراركم ؟ الاقتصاص منى أنا ؟

الحمار :

أكيدُ يا بنى ، كيف تطلّب فهمك للحقيقة مثل
هذا الوقت الطويل •

الخنزير :

لك أن تصلّى ، فافعلْ ، فقد حانت ميتك ، ولكن
لا تحجب عنا صبيّتنا الصغيرة ، أريد أن أمتع
عيني بالنظر اليها فانها هى أوّل من سألتهم •

تيلتيل :

وهل أنا أجرمتُ فى حقكم ؟

النشاة :

لا سمح الله •• ما الاجرام فى أنك أكلت وليدى
وأخى وأختى وأعمامى الثلاثة ، وعمتى ، وأبى
وأمنى ، صبرا صبرا ، حين يُطرح بك أرضا
سترى أن لى أنا أيضا أنيابا وأضراسا •

الحمار : وأن لى ظلّفا حادّا قوى الشكيمة •

الحصان : (يفحص الأرض بقوائمه مزهواً) سترى

ما سترى ، قل لى ، أيهما أحبّ اليك ؟ أن
أنهشك بأسنانى أم أبططك بحوافرى (يتقدم
بخيلاء نحو تيلتيل فيتصدى له ويشهر السكين
فى وجهه فيصاب الحصان فجأة بالذعر ويولى
الادبار وينطلق كالسهم) يا للداهية ، ليس هذا
بعدل ، ليس هذا من أصول اللعب ، أن يدافع
عن نفسه ••

الديك : (وقد عجز عن كتمان اعجابه) لا شكّ انه

صبىّ جسور •

الخنزير : (للدب والذئب) فلنهجم عليهما جميعا

وسأستدكما من خلف سنطرحهما أرضا ،
ونقتسم الصيّة حين تقع •

الذئب : شاغلّهما من أمام على حين أقوم أنا بحركة

التفاف (ويدور حتى يجىء خلف تيلتيل ويهجم
على ظهره ويكاد يطرحه أرضا) •

هو : يا خائن ! (ينهض معتمدا على ركبة واحدة

ملوّحا بالسكين ، حاميا أخته قدر طاقته وهى
تولول من الفرع وحين يتبيّن للأشجار والحيوان

انه يوشك أن يقع على الأرض تقترب جميعها
منه تحاول كل منها أن تصيبه بضربة ، يخيم
الظلام فجأة ، تلتيل يستنجد باضطراب (النجدة
النجدة تيلو ، تيلو ، تيلو ، أين الهرة ؟ تيلو ،
تيلو ، تيلو • اسرع الى انت والهرة •

الهرة
هو

: لا أستطيع فقد التوت قومي •
: (يتحاشى الضربات ويدافع عن نفسه قدر جهده)
النجدة النجدة ، لقد خارت قواي ، انهم أكثر
منى عددا : الدب والخنزير والذئب والحمار
وشجرة الصنوبر وشجرة الزان •

(يجزر تيلو حباله المتقطعة بعد أن
وثب من وراء جذع شجرة السنديان ويشق
طريقه مزاحما الشجر والحيوان حتى يلقي
بنفسه أمام تيلتيل ويدافع عنه بضراوة) •

الكلب

: (وهو ينهش بقوة يميناً ويساراً) ليك ليك
يا مولاي الصغير لا تخف ، ان فكى جبار ،
خُذْ ، هذه لك أيها الدب ، فى عجيزتك
الضخمة ، أين من يريد منكم مثلها ؟ وهذه
للخنزير وهذه للحصان ، وهذه لذيل الثور ،
تمام تمام ، هأنذا قد مزقت سرواى شجرة
الحوار وازار شجرة السنديان أما شجرة القسطل
فقد هربت ، أف أف ، الدنيا حرّ ••

هو : (متضعضا) خارت قوتي منذ ناولتني شجرة
السرو ضربة شديدة على نافوخي •

الكلب : انها ضربة من شجرة السرو وقد كسرت
أيضا قدمي •

هو : ها هم يعودون للهجوم ، كلهم معا ، قد جاء
دور الذئب هذه المرة •

الكلب : انتظر ، سترى كيف أعالجه بهجومي عليه •

الذئب : أيها الغبي ، بيننا أخوة فأنت من سلالتنا ، أنسيبت
أن أهله أبوا تربية صغارك فأغرقوها •

الكلب : وحسنا فعلوا فقد كانت تشبهك •
كل الأشجار وكل الحيوانات أيها العاق لجنسك ، أيها الخائن والغرّ الأبله ،
انفض يدك منه ، ألا ترى أن الموت محيق به ،
انضمّ إلينا •

الكلب : (في نشوة من الحب والاخلاص) كلا كلا ،
سأقف وحيدا ضدكم جميعا كلا كلا ، سأظل وفيا
لمن ينتمي لهم مولاي ، انهم أفضل منكم وأجلّ
قدرا ، (لتليتل) احترس ، هذا هو الدبّ ، خذ
بالك من الثور ، سأثب الى حلقه ، أيّ أيّ ،
هذه رفسة من حافر ، لقد هشّم الحمار سنين
من فكّي •

هو : هدّنى الاعياء ، تيلو ، أى ° أى ° ، هذه ضربة من
شجرة الدردار ، انظر الى يدى يسيل منها الدم ،
انه الذئب أو الخنزير •

الكلب : سلامتك يا مولاي الصغير ، دعنى أقبلك ، هذه
هى لعقة طيبة من لسانى ستريحك ، قف ورائى
ولا تتحوّل ، فلن يجزأ أحد منهم على مهاجتك ••
بل • نعم • نعم سيجرأون ، فهام قد عادوا •
الخطر كبير هذه المرة فلنصمد لهم ••

هو : (يتهاوى الى الأرض) لم تبق لى قدرة على
المقاومة •

الكلب : أصدقاؤنا قادمون ، تنبئى بهم أذنّى وأنفى •

هو : من أين ؟ ومن يكون القادم ؟

الكلب : من هناك ، انها بسمّة النور ، لقد اهدت الى
مكاننا ، قد نجونا يا مولاي ، يا ملكى الصغير ،
قبلنى ، نجونا ، نجونا ، انظر الى أعدائنا ، انهم
يتوجسون شراً ويتفرقون مرتعين •

هو : يا بسمّة النور ، يا بسمّة النور ، اقدمى واسرعى ،
لقد ثارت ضدنا الأشجار والحيوانات وتألّبت
علينا •

(تدخل بسمّة النور وكلما تقدّمت يتوالى
اشراق الفجر على الغابة حتى يعمها الضياء) •

بسمۃ النور : ما الخبر وماذا جرى ، كيف غلبك الضلال

يا مسكين • أدر الماسة فانها ستعيدهم الى عالم
الصمت والظلام ولن تتجلى لك بعد سريرتها •

(يدير تيلتيل الماسة فتهرع كل سريرة
الى جذع شجرتها وتدخله فينطبق عليها
وتختفي أيضا سرائر الحيوان ويرى من
بعيد بقرة وشاة ترعيان العشب في
سلام الخ الخ • وتستعيد الغابة براءتها) •

هو : (يتلفت حوله من فرط دهشته) أين هم ، ماذا
كان قد جرى لهم ؟ هل كانوا جميعا قد أصيبوا
بالجنون ؟

بسمۃ النور : كلا ، هذه هي حقيقتهم دائما ، ولكننا لا نعلمها
لأننا لا نراها ، وقد حذرتك من قبل من خطر
ايقاظها في غيبتى •

هو : على كل حال لولا الكلب ، ولولا أن كان عندي
سكين •• لم أكن أتصور من قبل انهم على مثل
هذه الشراسة •

بسمۃ النور : ها أنت ذا ترى أن الانسان يقف وحيدا ضد
الجميع في هذه الدنيا •

الكلب : (لتيلتيل) عسى أن لا يكون قد نالك أذى كبير
يا مولاي •

تيلتيل

: مسألة بسيطة ، أما عن ميتيل فقد عجزوا عن
لمسها ، ولكن انت يا عزيزى تيلو ، حدثنى عن
نفسك ، قد سال الدم على فكك وانكسرت
قدمك .

الكلب

: اصابة هيئة لا تستحق الذكر ، من غدٍ سيلثم
الجرح وينجبر الكسر ولكن كم كانت حامية
هذه المعركة !

الهرة

: (خارجة من غيل وهى تعرج) معركة حامية
ولا ريب ، فقد طعننى العجل بقرنه فى بطنى ،
لا ترى العين أثر الطعنة ولكنها تؤلمنى ، أشد
الألم ، وشجرة السنديان كسرت قدمى ..

الكلب

: أحب أن أعرف أى قدم هى ؟

ميتيل

: (تربت على الهرة) تيلت يا مسكينة ، أحقا
ما تقولين ؟ اذن أين كنت فانى لم ألمحك .

الهرة

: (منافقة) أيمتى ، قد جرحت من فورى حين
هاجمنى الخنزير القذر الذى أراد التهامك
فناولتنى حينئذ شجرة السنديان ضربة دوختى .

الكلب

: (وهو يهمس بالكلام من بين أسنانه المطبقة)
انت ! فليكن فى علمك انه سيكون بينى وبينك

حساب ، ولن يفيدك الانتظار شيئاً ، فجزأؤك لن
يتغير •

ميتيل : (للكلب) دعها فى حالها يا لعين •

(يخرج الجميع) •

« ستار »

الفصل الرابع

المنظر السادس - أمام الستار

(يدخل تيلتيل وبسمة النور والكلب
والهرة والرغيف والنار وقمع السكر والماء
واللبن) •

بسمة النور : تلقيت رسالة عاجلة من الجنية غرباوية تخبرني
فيها أن الطائر الأزرق موجود هنا في أغلب
الاحتمال •

تيلتيل : في أى مكان هنا ؟

بسمة النور : هنا ، فى المقبرة التى وراء هذا الجدار ، يبدو أن
أحد الموتى فى هذه المقبرة يخفيه فى قبره ، يبقى
علينا أن نعرف أيّهم هو ، لذلك ينبغي المرور
بالموتى واحدا واحدا •

هو : واحدا واحدا ؟ وكيف نفعل ؟

بسمة النور : المسألة بسيطة ، ننتظر منتصف الليل ، لئلا نفرط
فى ازعاجهم ، ثم تدير أنت الماسة فاذا بهم
يخرجون من الأرض ، وأما الذين لا يخرجون
فسنظلّ عليهم فى قبورهم •

هو : ألن يحنقهم عملنا هذا ؟

بسمۃ النور : لن يحنقهم ، بل لن يثينوا أن خروجهم بارادتنا ،
حقا انهم لا يحبون أن يقلقهم أحد ، ولكن من
عادتهم على كل حال أن يخرجوا فى منتصف
الليل فلا ازعاج لهم •

هو : لماذا شحب لون الرغيف وقمع السكر واللبن
ولماذا خرس لسانهم ؟

اللبن : (وهو يترنج) أحسّ أننى سأصاب بالخشورة •

بسمۃ النور : (تهمس لتليل) لا تشغل بالك بهمومهم ، فما
بهم الا الخوف من الموتى •

النار : (تطوف بخطى لاهية) أما أنا فلست خائفة ، فقد
ألفت أن أحرقهم ، كنت أحرقهم جميعا فى
الماضى فكانت لى متعة لا أجدها أيامنا هذه •

هو : ولماذا يرتجف تيلو ؟ هل هو خائف أيضا ؟

الكلب : (وأسنانه تصطك) أنا ؟ اننى لا أرتعش ، أنا
لا أخاف أبدا ، ولكن ان تركتم هذا المكان
فسأتركه معكم •

هو : وما للهرة لا تنبس بكلمة •

الكلب : (فى غموض) ليس علمى علمكم •

هو : (لبسمة النور) هل ستأتين معنا ؟
 بسملة النور : كلا ، فمن الأفضل أن أبقى عند باب المقبرة مع
 الأشياء والحيوان ، لم يأت وقتي بعد ، فربة
 النور غير قادرة للآن أن تنفذ الى دور الموتى ،
 سأتركك وحدك مع ميتل .

هو : هل يمكن اذن لتيلو أن يبقى معنا ؟
 الكلب : نعم ، نعم . سأبقى هنا ، أحب أن أبقى مع مولاي
 الصغير .

بسملة النور : هذا مستحيل ، ان أوامر الجنية صريحة ، ومع
 ذلك فليس هناك شيء يخشى منه عليكما .

الكلب : طيب طيب ، ما باليد حيلة ، اذا وجدتهم أشرار
 يا مولاي الصغير فما عليك الا أن تفعل هكذا
 (يصفر) وسترى ، سأضعك كما أسعفتك في
 الغابة (ينبج وا وا وا) .

بسملة النور : هيا بنا ، وداعا يا صغيري العزيزين ، لن أكون
 بعيدة عنكما ، (تعانق الصبيين) ان الذين يحبونني
 والذين أحبهم سيجدونني دائما (للأشياء
 والحيوان) أما أنتم فمن هنا .

(تخرج مع الأشياء والحيوان ويبقى
 الصبيان وحدهما وسط المسرح فتنتفضج
 الستار على المنظر السابع) .

المنظر السابع - المقبرة

(بالليل في نور القمر ، مقبرة ريفية ،
قبور عديدة ، ربي مخضرة ، صليبان من
الخشب ، كسوة مقابر من الرخام الحج الخ)
(تيلتيل وميتيل واقفان بالقرب من نصب
على هيئة عمود مستقيم) •

هي : انى خائفة •

هو : (باطمئنان مزعزع) أما أنا فلا أخاف أبدا •

هي : هل الموتى أشرار ؟ قل لى ؟

هو : كلا ، كيف يكونون أشرارا وهم غير أحياء ؟

هي : هل رأيت من قبل واحدا منهم ؟

هو : نعم ، مرة واحدة ، منذ زمن بعيد ، أيام أن كنت

صغيرا جدا •

هي : كيف هو ؟ قل لى ••

هو : شخص كله بياض ، هادىء جدا ، بارد جدا •

ولا يتكلم •

هي : هل سراهم ؟ قل لى ••

هو : ولا ريب ، فهذا هو ما وعدتنا به بسمة النور •

هي : أين مكانهم هؤلاء الموتى ؟

هو : هنا تحت العشب أو تحت هذه الأحجار الثقيلة •

- هي : أهذا هو مكانهم على مدار العام ؟
- هو : نعم •
- هي : (مشيرة الى الأحجار فوق المقابر) أهذه أبواب بيوتهم ؟
- هو : نعم •
- هي : أيكون خروجهم حين يرقّ الهواء ؟
- هو : انهم غير قادرين على الخروج الا بالليل ••
- هي : ولماذا ؟
- هو : لأنهم لا يرتدون الا القمصان •
- هي : وهل يخرجون أيضا في المطر ؟
- هو : اذا أمطرت السماء لزموا بيوتهم •
- هي : هل بيوتهم جميلة ؟ قلّ لي ••
- هو : يقولون انها ضيقة جدا •
- هي : هل معهم أولاد صغار ؟
- هو : طبعا ، معهم كل من يموت •
- هي : وما هو غذاؤهم ؟
- هو : انهم يأكلون جذوع الأشجار •
- هي : وهل سنراهم ؟
- هو : لا ريب ، فان ادارة المساسة ستجعل كل شيء ينكشف لعيوننا •

- هي : وماذا سيقولون ؟
- هو : لن يقولوا شيئاً لأنهم لا يتكلمون .
- هي : ولماذا لا يتكلمون ؟
- هو : لأنه ليس لديهم شيء يقال .
- هي : ولماذا ليس لديهم شيء يقال ؟
- هو : وجعت لى دماغى (فترة صمت) .
- هي : متى تدير الماسة ؟
- هو : بسمه النور أوصتنا بانتظار منتصف الليل . هذه ساعة لا يزعجهم الخروج فيها الا قليلا .
- هي : ولماذا يقلّ انزعاجهم عند الخروج فى هذه الساعة ؟
- هو : لأنها ساعة الخروج لتسم الهواء .
- هي : هل حلّ نصف الليل ؟
- هو : ألا ترين ساعة الكنيسة ؟
- هي : نعم ، بل أرى العقرب الصغير .
- هو : اذن ترين انها على وشك أن تدق اثنتى عشرة مرة ، ها هي تدق ، أسمعت ؟
- هي : (تسمع الدقات الاثنتا عشرة) .
- هي : أريد أن أعود .

- هو : لم تحن العودة بعد ، وسأدير الماسة •
- هي : كلا كلا ، لا تفعل ، أريد أن أعود ، اننى خائفة
يا أخى ، اننى مرتعبة جدا •
- هو : ولكن ما من خطر علينا •
- هي : لا أريد أن أرى الموتى ، لا أريد أن أراهم •
- هو : لك ما تريدين ، اقل عنيك فلا تريهم •
- هي : تشبث بشيابه (تيلتيل ، لا أستطيع ، مستحيل •
انهم سيخرجون من تحت الأرض •
- هو : لا ترتجفى هكذا ، انهم لن يخرجوا الا لبرهة
وجيزة •
- هي : ولكنك أنت أيضا ترتجف • هل سيكون منظرهم
مرعبا ؟
- هو : أزف الوقت ، فقد أصبحنا فى منتصف الليل
(يدير تيلتيل الماسة ، لحظة مرعبة من الصمت
والهمود ثم يحدث بسطء ترنج الصليان وانشقاق
الأرض فى الربوة المخضرة وارتفاع الحجارة عن
القبور) •
- هي : (وهى تحتمى بحضن أخيها) انهم يخرجون ،
ها هم أمامنا •

(حينئذ ينبعث شيئاً فشيئاً من القبور المفتوحة لفيف زهور نابئة ، هي أول الأمر رقيقة متهية ، انها كسحابة من البخار ، ثم تتحول الى بياض كوشاح البكر ، ويزداد درجة بعد درجة التفافها وعلوها وفيضها وبهاؤها وتجل شيئاً فشيئاً ويسلطان لا يقاوم كل الأشياء فتحيل المقبرة الى حديقة ملائكية توحى بالطهارة ، ثم لا يلبث الفجر أن يزف اليها أول ضيائه فيتلاًلأ الندى ، تتفتح الأشجار والأزهار ، يوسوس النسيم بين أوراق الفصون ، يطن النحل ، تستيقظ الطيور فتملاً ببواكير نشوتها أرجاء الكون بأناشيد فرحها بالشمس والحياة ، تيلتيل وميتيل تملكهما الدهشة والاعجاب ، يده تمسك يدها ، وينقلان الخطى بين الزهور بحثاً عن آثار القبور) •

هي : (وهى تبحث فى العشب) أين هم هؤلاء الموتى ؟

هو : (يبحث مثلها) ليس هناك موتى •

« ستار »

المنظر الثامن أمام ستار يمثل سحبا جميلة

(يدخل تيلتيل وميتيل وبسمة النور
والكلب والهرة والرغيف والنار وقمخ السكر
والماء واللين) •

بسمة النور : فى اعتقادى أن يدنا ستقع هذه المرة على الطائر
الأزرق وكان ينبغى أن أدرك هذا منذ أول
مرحلة فى رحلتنا ولكن لم يحدث الا فى هذا
الصباح حين جدد الفجر قواى أن أشرق هذا
الادراك على ذهنى اشراق شعاع من السماء ، نحن
الآن عند مدخل الفردوس المسحور حيث يجتمع
فى حراسة القدر كل ما يعرفه الانسان من شخص
البهجة والهناء •

تيلتيل : وهل هناك كثير منهم ، أياكون لنا منهم نصيب
أينهم صغار مثلنا أيضا ؟

بسمة النور : فيهم الكبير والصغير ، والجلف والراقي ، فيهم
من له أكبر حظ من الجمال وفيهم من هو أقل
لطفا ، أما أسوأهم طبعا فقد سبق طردهم من هذا
الفردوس فوجدوا ملجأ لهم فى ديار شخص
البؤس اذ ينبغى أن لا يغيب عنكم ان شخص

البؤس يقيمون فى مسكن مجاور نافذ على فردوس
الهناء ، لا يفصل بينهما الا حاجز كأنه البخار
أو كأنه ستار خفيف ينزاح كلما هبت عليه رياح
من علياء العدالة أو من قاع الأبد ، يحسن بنا
أن نعمل بنظام وأن نتخذ بعض تدابير الحيطه ،
فشخص الهناء هم فى العادة خيرون الا أن منهم
من هو أشد من شخص البؤس خطراً وخداعاً ،

الرغيف : عندى فكرة ، ما دام شخص الهناء لهم مثل هذا
الخطر والخداع أفليس من الأفضل أن تبقى
جميعاً عند الباب حتى تحمى الصيين بسواعدها اذا
اضطرا للفرار بعد دخولهما ؟

الكلب : كلا كلا ، أريد أن أكون مع مولاي ومولاتي
أينما يذهبان فليبق بالباب كل من يرتجف قلبه
من الرعب ، فليس لنا حاجة اليه (ينظر الى
الرغيف) ولا الى الجبناء (ينظر الى الهرة) ولا
الى الخائنين •

النار : أما أنا فذاهبة معهما ، يقال ان فى غشيان هذا
الفردوس متعة كبيرة وأن أهلها لا ينقطعون عن
الرقص •

الرغيف : وعن الأكل أيضا ؟

الماء : (تتنهّد) لم يدخل حياتى قط ههنا ولو صغير وأود
أن أعرفه اليوم .

بسمّة النور : اعقدوا ألسنتكم ، لم يسألکم أحدٌ رأيکم ، اليکم
قرارى ، الكلب والرغيف وقمع السكر يصحبون
الصبيين ، والماء لا تدخل لأنّها شديدة البرودة ،
ولا النار لأنّها مفرطة فى الاضطراب ، وأناشد
اللبن أن يلزم الباب لأنّه سريع التأثير ، أما الهرة
فهى حرّة .

الكلب : انها خائفة .

الهرّة : اذن سأنصرف فأسلم فى طريقى على بعض
شخوص البؤس فينى وبينهم صداقة قديمة ،
فهم يسكنون بجوار شخوص الهناء .

هو : وأنت يا بسمّة النور ، ألا تأتين معنا ؟

بسمّة النور : لا أستطيع أن أدخل كما أنا على شخوص الهناء
فان أكثرهم لا يحتملونى ، ولكن لدىّ الوشاح
الغليظ الذى أغطى به اذا زرت السعداء ، (تفرد
وشاحا كبيرا تلقاه حولها باحكام) ينبغى أن
لا يزعجهم شعاع من نورى ، اذ أن من
شخوص الهناء من يعيش فى وجل محروما من
السعادة أما اذا دخلت هكذا فلن يخشاني أحد
حتى أقلهم جمالا وأقلهم لطفا .

(ينفتح الستار على المنظر التاسع)

المنظر التاسع

فردوس الحياة الدنيا

(يفتح الستار عن ردهة مقامة في مدخل الفردوس . ترسمها أعمدة عالية من المرمر ، تتدلى بينها أستار من المخمل الثقيل الأرجواني ، تعقدها حبال ذهبية ، بحيث تحجب غيبة المنظر ، طراز البناء يوحي بذروة ما بلغه يوما عصر النهضة في البندقية والأراضي الواطئة من استغراق في الملذات الحسية والترف كما تشهد به لوحات الرسام فيرونيزي وروباز ، أكاليل وتماثيل وجدائل وزهرينات وتماثيل وزينة ذهبية منثورة بسخاء ، في وسط الردهة مائدة ثقيلة فخمة من حجر الشب المزخرف بالقسيفساء ، تزدهم عليها شمعدانات وأكواب من البللور وأنية من الذهب والفضة ، تفيض بأطعمة فاخرة ، يجلس حول المائدة شيوخ الترف في الأرض وهم يأكلون ويشربون ويندفعون في الهتاف والغناء ، فيهم المترنح وهو وسنان ، وفيهم المستغرق في النوم ، وبين أكداس من لحم الوعل وفاكهة مهولة انقلبت الأباريق والأكواب على المائدة ، كل واحد منهم مفرط في البدانة ، محتق الوجوه ، في ملابس من القطيفة ، على الرأس تاج محلى بالذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة ، قيان فائنات لا تنفك عن السعى بأطباق مزينة وشراب مشعشع ، وموسيقى تتم عن

ذوق فح ماجن يحب الصخب يغلب فيها
عزف الآلات النحاسية • المسرح غارق في
ضوء أحمر ثقيل •

تيلفيل وميتيل والرغيف وقمع السـكر
يغلبهم شيء من الدهشة والانبهار أول الأمر
ثم يتحلقون على اليمين في مقدمة المسرح
حول بسمة النور، وتمضي الهرة دون أن تنبس
بكلمة الى غاية المسرح ، من الناحية اليمنى
أيضا - وترفع ستارة قاتمة اللون
وتختفي) •

هو : من هم هؤلاء السادة الضخام الذين يلهون
ويلتهمون كل هذه الأطعمة الشهية ؟

بسمة النور : انهم شخوص الترف في الأرض ، ممن تراهـم
العيون ، ومن الجائز - وان كان الاحتمال ضئيلا -
أن يكون الطائر الأزرق قد شرد فترىـث عندهم
قليلا ، لذلك لا تتعجل ادارة الماسة ، وعلينا
الآن دفعا لوهم التقصير أن نستكشف هذا الجانب
من الردهة •

هو : وهل نستطيع الاقتراب منهم ؟

بسمة النور : نعم ولا ريب ، فهم غير أشرار وان كان فيهم من
هو جلف ، ومن هو سيء الأدب •

هي : عندهم فطائر لذيذة •

الكلب : ولحم صيد طرىّ ومقدّد ، وأزناد خراف
وأكباد عجول ، هذا أطيب طعام فى الدنيا ،
لا يفضلّه طعام آخر ، فلا شىء يفضل أو يماثل
كبد العجل •

الرغيف : الآ الخبز المصنوع من خالص دقيق القمح ،
عندهم أفخر صنف منه ما أجمل أرغفتهم !
ما أجمل أرغفتهم ، انها أضخم منى •

قمع السكر : عفوا عفوا ومائة مرة عفوا ! اسمحوا لى ،
اسمحوا •• لا أريد أن أجرح شعور أحد ولكن
أنسىتم أن الحلوى هى مجد هذه المائدة فلها من
الرواء البديع ما يفوق - ان جاز لى هذا التعبير -
كل شىء لا فى هذه الردهة وحدها بل ربما فى
أى مكان آخر •

هو : يا لسمّة الرضى والسعادة البادية عليكم ، لا يكفّ
لهم هتاف وضحك وغناء ، أظن أنهم قد رأونا •

(ويقوم فعلا من المائدة نفر من شيوخ
الترف ويخطون بصعوبة مسندين أكراسهم
بالأكف ، ويتقدمون نحو تيلتيل وصحبته)

بسمّة النور : (لتيلتيل) لا تخش شيئا ، انهم أهل حفاوة وكرم
ضيافة وأظن أنهم سيدعونك للعشاء معهم فلا
تقبل دعوة ولا طعاما ، لئلا تنسى مهمّتك •

هو : ماذا ؟ حتى ولا فطيرة واحدة صغيرة ؟ ان فطائرهم
تبدو شهية طازجة مُسكرة ، محشوة بالفاكهة ،
عامرة بالقشدة •

يسمة النور : ان عواقبها وخيمة فهي ستحطم ارادتك وينبغي أن
تعرف كيف تضحى ببعض الأشياء في سبيل
أداء الواجب • فارفض بأدب ، ولكن بحزم ،
ها هم قادمون •

(زعيم الترف يمد يديه الى تيلتيل) •

زعيم الترف : مرحبا بك يا تيلتيل ، أهلا وسهلا •
هو : (بدهشة) أنعرفنى اذن ؟ مَنْ أنت ؟

زعيم الترف : أنا زعيم الترف ، أنا الثراء ، اننى قادم نيابة عن
اخوتى أدعوك أنت وصحبك لتشریف مآدبتنا التي
لا انتضاء لها ، وستجد نفسك بين من هم أفضل
وأصدق شخوص الترف فى هذه الأرض ،
واسمح لى أن أقدم لك أهمهم ، هذا هو صهرى
تurf الحيازة والتملك ، وبطنه على هيئة الكمثرى ،
وهذا هو ترف الغرور والاكتفاء بالنفس ، انه
يزهو بأوداجه المتفخخة ، وهذا هو ترف الشرب
حين لا عطش ، وهذا هو ترف الأكل حين
لا جوع وهما توأمان وأقدامهما من عِبدانى

المكرونة ، (يقومان بتحية تيلتيل وهما يرتجان)
وهذا هو ترف الاستغناء عن كل علم ، وهو أصم
كالصخر ، وهذا هو ترف الاستغناء عن كل فهم ،
وهو أعمى كجرذ الجحور ، وهذا هو ترف الترفع
عن كل عمل ، وهذا هو ترف الاسترسال في النوم
بعد الشبع منه ، ولهما أيد من لباب الخبز وعيون
من مربى الخوخ ، وهذا هو ترف الضحك
الغليظ ، ان فمه مشقوق حتى الأذنين ، ولا أحد
يقاوم عدواه .

(يقوم بتحية تيلتيل وبدنه يرتج ويتلوى
من الضحك) .

هو : (يشير الى ترف آخر منتج جانباً) ومن هذا
الذى لا يجراً على التقدم ويدير لنا ظهره ؟

زعيم الترف : لا تلح في السؤال ، انه في خجل ، اذ لا يليق
تقديمه للصغار (يمسك يد تيلتيل) ولكن تعال
اذن ، سنبدأ المأدبة من جديد ، لقد تكررّت
عشرين مرة منذ الفجر ، ولسنا في انتظار أحد
غيرك ، هل تسمع كل الضيوف يهتفون بدعوتك ،
لا أستطيع أن أقدمهم لك جميعاً فهم عديدون ،
(يمنح ذراعيه للصين) اسمحالى أن أقودكما
الى مقعدى الشرف .

هو : شكرا سيدي زعيم الترف ، يؤسفني أشدّ
الأسف انني غير قادر في هذه اللحظة أن ألبّي
دعوتكم ، اننا في عجلة ، فنحن نبحث عن الطائر
الأزرق . فلعلك تعرف صدفة أين هو ؟

زعيم الترف : الطائر الأزرق ؟ انتظر اذن ، نعم . نعم . أتذكر
الآن ، لقد سمعتُ عنه من قبل ، انه فيما أظن
طائر لا يؤكل ، على كل حال انه لم يَمَثُلْ فوق
مائدتنا ، ولكن لا تجهد نفسك ، فلدينا أشياء
أخرى أفضل منه ، ففعال لتشاركنا حياتنا وتشهد
كل ما نفعل .

هو : وماذا تفعلون ؟

زعيم الترف : كل فعالنا أن لا نفعل شيئا ، فنحن لا نرتاح ولو
دقيقة ، اذ ينبغي أن نأكل وأن نشرب وأن ننام ،
وكل هذا يستنفد وقتنا كله .

هو : وهل في ذلك متعة ؟

زعيم الترف : من كل بدّ ، فليس في الأرض متعة سواها .
بسمّة النور : أهذا هو اعتقادك ؟

زعيم الترف : (يهمس الى تيليل مشيرا الى بسمّة النور) مَنْ
تكون هذه الشابة السيئة الأدب ؟

(وأثناء الحوار السابق تحتفى شخص
ثانوية من الترف بالكلب وقمع السكر
والرغيف ويقودونهم الى المائدة الصاخبة
وفجأة يلحظ تيليل صحبه وقد جلسوا
على المائدة فى اخاء مع بقية الضيوف ،
ياكلون ويشربون ويترنحون) •

هو : (لبسمة النور) أنظرى ! انهم على المائدة •

بسمة النور : نادهم والا كانت العاقبة وخيمة •

هو : تيلو ! تيلو ! تعال هنا ، تعال هنا حالا ، سامع ؟

وأنت يا قمع السكر ، وأنت يا رغيف من سمح

لكما بالابتعاد عنى ، ماذا تفعلان هناك بغير اذن

منى •

الرغيف : (وفمه محشو) ألا تستطيع مناداتنا بلهجة أكثر

أدبا •

هو : يا للعجب ! منذ متى تعلّمت هذه الجرأة على ؟

ماذا دهالك ! وأنت يا تيلو • أهذه هى الطاعة

عندك ؟ هيا ، تعال هنا ، اركع اركع وبأسرع

مما تفعل •

الكلب : (بصوت واطىء ومن طرف المائدة) أنا حين

أكل لا أجيب أحدا ولا أسمع شيئا •

قمع السكر : (بلهجة معسولة) اعذرنا ، اننا لا نستطيع أن

تخذل أصحاب بيت مثل هذا الظرف •

حلمك حلمك ، انهم يضربون لك المثل ،
فالضيوف ينتظرونك ونحن لا نقبل الاعتذار ،
سنرغمك بلطف على الجلوس ، هيا يا شخص
الترف ، ساعدوني ، ادفعوه دفعا الى المائدة حتى
ينعم بالسعادة رغم أنفه •

(تتقدم شخص الترف وهى تترنج
وتتماسك قدر جهدها وتهلل فى فرح وتجدب
الصينيين وهما يقاومان ، بينما يلف ترف
الضحك الغليظ ذراعه على خصر بسمه النور)

بسمه النور : (الى تيلتل) أدر الماسة فقد آن الأوان •

(تيلتل يستجيب لها ، ما يكاد يدير
الماسة حتى يغمر المنظر ضياء لا وصف
ولا حد لنقائه ، كأنما تعكس عليه الملائكة
لون أجنحتها الوردية ، صاف رقراق ،
تنفك وتختفى عن مقدمة المنظر زخارفه
الثقيلة وأستاره الصفيقة الأرجوانية ،
فتكشف عن حديقة ناعمة كأنها من عالم
الخرافة ، تسودها دعة وسكينة ، هى أشبه
شئ بصرح أقامته مملكة النبات ، ترتاح
العين لانسجام خطوطه وأبعاده ، انها حديقة
ثرية بأغصان فتية يترقرق عليها الضياء ،
ملتفة ومتشابكة بلا فوضى ، الزهور سكرى
بطهارتها ، ومياه صافية تنطق بالجدل
وهى تصب وتسيل وتضطف فى جداول

جارية ، كأنما تمد زحاب الهناء الى حدود
 الأفق ، تنهد مائدة العريضة ولا يبقى لها
 أثر ، ستائر الخمل والحرير وتيجان
 شخوص الترف ما تكاد تتلقى أوائل أنفاس
 هذا الضياء المشعشع الذى يغمر المنظر حتى
 ترتفع وتمزق وتتهاوى ، وكذلك الأقنعة
 الضاحكة الملقاة تحت أقدام الضيوف وقد
 عرتهم الدهشة ، وينشفض انتفاخ شخوص
 الترف تباعا على مرأى العين انشفط مائة
 انفجرت ، يتبادلون النظرات وأجفانهم تطرف
 من أثر هذا الضياء المجهول الذى تعشى له
 أبصارهم ، وحينما تتجلى لهم حقيقتهم ويرون
 أنفسهم شخوصا دمية ، رخوة ، زرية
 تنبعث منهم صيحات الخجل والوجل ،
 تتبين الأذن بوضوح من بينها صيحة ترف
 الضحك الغليظ بسبب علوها على صيحات
 الآخرين ، وتترف الاستغناء عن كل فهم يظل
 ساكنا كل السكون ، على حين يضطرب
 زملاؤه وقد أحسوا بالضياح ، يتلمسون
 وسائل الهرب بالاختفاء فى الأركان للتستر
 بعتمتها فيما يأملون ، ولكن سناء الحديقة
 الرائعة لم يترك بها أثرا لظل ، فيعمد
 بعضهم فى يأسهم من النجاة الى اقتحام نذير
 الستارة المائلة فى ركن على اليمين ، المنعقدة
 فوقها سقيفة باب كهف شخوص البؤس ،
 وكلما هم كل واحد منهم فى رعبه بازاحة
 الستارة قليلا انبعث من أغوار الكهف سيل
 من السباب واللعنات والشتائم ، أما الكلب
 والرغيف وقمع السكر فقد تخاذلوا وتدلّت
 آذانهم وانضموا الى صحبة الصبيان واختبأوا
 فى حجل وراءهما .

تيلتيل : (وهو يرقب فرار شخصو الترف) ما أبشع
دمامتهم • الى أين فرارهم ؟

بسمه النور : جن جنونهم ولا ريب ، انهم يلجأون الى شخصو
البؤس وأخشى أن يحتجزوهم عندهم الى الأبد •

هو : (يتلفت حوله مسحورا بما يرى) ما أجملها من
حديقة ، ما أجملها من حديقة ، ولكن أين نحن ؟

بسمه النور : لم يتبدل مكاننا ، انما التبدل في نظرة العيون ،
نحن الآن نشهد حقيقة الأشياء ، سترى شخصو
الهناء التي تتحمل سناء الماسة •

هو : ما أبهى هذا المنظر وما ألطف هذا الهواء ، يخيل
الى أننا في اعتدال الربيع ، ما الذي أرى ؟ من
القادمون علينا من هناك ، لعلهم سيغنون بأمرنا •

(وتبدأ الحديقة فعلا بالامتلاء بشخصو
ملائكية كأنما انفلتت من سبات طويل
وتجوس بانسجام خلال الأشجار ، عليها
ملابس يشع منها ضوء له أطياف ترتاح العين
لتناسقها وبهائها ، تتفتح الزهور في
الحديقة ، ويفتر ثغر الجدول ، ويشرق
سناء فجر وليد ، ويتلألأ الندى) •

بسمه النور : ها هي فئة من شخصو الهناء قادمة إلينا ، يدفعهم
حبّ التطلع ، ولكنهم أهل ظرق وسماحة ، سنعلم
منهم الخبر •

هو : وهل تعرفينهم ؟

بسمۃ النور : نعم ، أعرفهم جميعا فأنى ألم بهم مرارا دون أن يدركوا من أنا •

هو : ما أكثرهم ، ما أكثرهم ، انهم قادمون من كل صوب •

بسمۃ النور : كانوا أكثر عددا من قبل ، فقد أضر بهم شخوص الترف •

هو : لا ضير عليهم فقد بقى منهم عدد ليس بالقليل •

بسمۃ النور : وسترى كثيرا غيرهم كلما طاف ضياء الماسة بالحديقة ، فان شخوص الهناء فى الأرض أكثر مما تظن ، ولكن أغلب الناس لا يتنبه اليهم •

هو : ها هم صغارهم يتقدمون إلينا ، فلنجر للقائهم •

بسمۃ النور : لا تعب نفسك ، فكل من يضينا أمره سيمر من هنا ولا يتسع وقتنا لمعرفة الآخرين •

(صغار شخوص الهناء تثوب وتتضاحك بملء الأفواه ، تقدم من مؤخرة الحديقة وترقص متحلقة حول الصبيين)

هو : ما أوسمهم ، ما أوسمهم ، من أين أتوا ؟ ومن هم ؟

بِسْمَةِ النور : انهم شخوص هناء الأبطال •

هو : هل لي أن أكلهم ؟

بِسْمَةِ النور : لا داعي للكلام فهم لا يعرفون الا الغناء والرقص

والضحك ، أما الكلام فلم يتعلموه بعد •

هو : أهلا أهلا (الى بسمَةِ النور) أنظري الى هذا

الطفل السمين الضاحك ما أجمل خدودهم

وما أبهى ملابسهم • أكلهم أثرياء ؟

بِسْمَةِ النور : كلاً ، هنا كما في كل مكان يزيد الفقراء على

الأغنياء •

هو : وأين الفقراء بينهم ؟

بِسْمَةِ النور : لا تتيينهم الذين لأن هناء الأبطال ملفوف في أجمل

كساء في الأرض أو في السماء •

هو : (وهو لا يستقر في مكانه) أريد أن أرقص معهم •

بِسْمَةِ النور : هذا مستحيل ، فليس لدينا وقت ، اني أرى أن

الطائر الأزرق ليس عندهم ، وهم فوق ذلك في

عجلة ، فأنت تراهم قد أخذوا في الانصراف • وهم

أيضاً وقتهم قليل فلا يُضيعونه هدراً ، فأمد الطفولة

قصير •

(تهرع الى الحديقة فئة من شخوص
الهناء أطول من السابقين ، يتعالى غناؤهم

وهم يهتفون : ها هم قد أتوا ، ها هم قد
أتوا ، انهم يروننا ، ثم يرقصون بمرح حول
الصبيين وعند نهاية الرقصة يتقدم من هو
فى الظن زعيم هذه الفئة الصغيرة نحو
تيلتيل ويمد له يده) •

الهناء : أهلا بك يا تيلتيل •

هو : مرة أخرى أجد من يعرفنى ، (الى بسمه النور)
قد بدأت أن أكون معروفا لدى الجميع هنا ،
(الى الهناء) من أنت ؟

الهناء : انت لا تعرفنى ؟ أراهنك أنك لا تعرف أحدا منا
هنا •

هو : (بلا حرج) فعلا ، لا أعرف أحدا ، فلا أذكر
انتى رأيك من قبل •

الهناء : (لزملائه) أسمعون ؟ كنت واثقا انه سيقول انه
لم يرنا ، (تنفجر بقية شخوص الهناء بالضحك)
ولكن يا عزيزى تيلتيل ، أنت لا تعرف أحدا
غيرنا ، نحن دائما من حولك ، فى صحبتك ،
نأكل ونشرب ونصحو وتنفس ونعيش •

هو : نعم • نعم أنت على حق ، أدركت الآن صدق
ما تقوله ، فانتى تذكرت ولكنى أود أن تتبؤنى
بأسمائكم •

الهنا : أرأيت أنك لا تدرك شيئا ، أنا هنا بيت الأسرة ، بيتك ، وزعيم كل هنا آخر يسكنه .

هو : أفى البيت أشكال أخرى من الهنا ؟

(يفج شخص الهنا بالضحك) .

الهنا : هل سمعتم ؟ يسأل أفى البيت هنا آخر ، البيت يا بنى مكنت بأشكال من الهنا حتى تكاد تفيض من سدود أبوابه ونوافذه ، ونحن نرحمه بالضحك والطرب والفرح حتى لتكاد الجدران تتراجع أمامنا وحتى يكاد السقف يطير ، ولكن مهما بذلنا من أنفسنا لك فأنت لا ترانا . أرجو أن يرجع عقلك لرأسك قليلا من قادم ، والى أن يحدث لك هذا تعال صافح أعياننا حتى اذا رجعت لبيتك سهل عليك تبيينهم ثم تعرف فى نهاية يوم سعيد كيف تشجعهم بإتسامه منك وتشكرهم بكلمة طيبة ، لأنهم يبذلون كل جهدهم من أجل أن تنعم بحياة حلوة خفيفة الحمل ، دعنى أقدم لك نفسى أولا ، خادمك المطيع : هنا التمتع بالصحة والعافية ، ولعلّ جمالى لا يفوق جمالهم بريقا ، ولكنى أهمهم ، أنعرفنى الآن ؟ وها هو هنا التمتع بالهواء الطلق ، انه يكاد يكون شفافا ، وها هو هنا تمتع الولد بمحبته لأبويه ، ينمّ لون

ثوبه الرمادى عن حشمته ولا يسلم من حزن
 طفيف لأن العيون قلما تأبه به ، وهذا هو هناء
 التمتع بالسماء الزرقاء ، ثوب أزرق بطبيعة الحال ،
 وهذا هو هناء التمتع بالغابة ، وثوبه أخضر بطبيعة
 الحال أيضا ، ستراهم جميعا اذا جلست الى النافذة ،
 وهذا هو هناء التمتع بأشراق الشمس ، له لون
 المس ، وهذا هو هناء التمتع بالربيع ، انه فى لون
 الزمرد وبه طيش .

هو : هل لكم هذا الجمال كل يوم ؟

الهناء : أى نعم ، فكل الأيام يوم عيد فى كل البيوت ،
 اذا عرف أهلها كيف يفتحون عيونهم ، ثم اذا
 حلّ المساء واناك أصحابى هؤلاء ، دغنى أقدمهم
 لك ، هذا هو هناء التمتع بالغروب ، وهو أبهى من
 كل ملوك الأرض ، ثم يتبعه هناء التمتع بطلوع
 النجوم وثيابه من ذهب كاللآلئ الاقدمين ، ثم اذا
 تكاثرت السحب واناك صاحبى هذا ، انه هناء
 التمتع بالمطر وثوبه مطرز باللؤلؤ ، ومعه هناء
 التمتع بمدفأة الشتاء الذى يسدل على الأيدي
 المتلحجة وشاحه القرمزى ، ولكنى لم أحدثك عن
 أفضلنا جميعا لأنه يكاد يكون أخا شقيقا للنعم
 الكبرى الصافية التى سترها قريبا ، وأعنى به هناء

التمتع بفكر طاهر برىء، وهو أكثرنا نقاءً، وها هو
هنا آخر، ولكن ما أكثر من احتاج الى تقديمه
اليك، ولو فعلت لما انتهيت، فينبغى لى أن أنبئ
بمقدمكم النعم الكبرى المشرفة علينا هناك، في
آخر الحديقة، بالقرب من باب السماء، فانهما
لا تعلم بعد أنكم قد أتيتم، سأبعث اليهم بهناء
التمتع بالجرى على قطرات الندى بأقدام حافية،
فهو أخفنا حركة (يخاطب الهناء الذى وقع عليه
اختياره، فيتقدم مسرفاً فى الترحيب بالحركة
والتوثب - ويستطرد الهناء قائلاً له) هيا، طرِّ
الى حيث أرسلتك •

(يتقدم فى هذه اللحظة هناء آخر، عار
الا من ستر أسود على خاصرته، يزاحم بقية
شخوص الهناء وهو يهمهم بكلمات غير
مفهومة، ويقترب من تيلتيل وهو يتوثب،
فيعابشه بوضيح كفه على الأنف وتلعيب
أصابعه، محاولاً صفعه أو ضربه بالقدم،
واذا هم تيلتيل بصدده تملص منه) •

هو الهناء : (وقد غلبته الدهشة والحنق) من هذا المتوحش ؟
أمرى لله، لا مفر من أن أقدمه لك، انه هناء
العفرتة، وقد هرب من كهف شخوص البؤس،
لا ندرى أين نحتجزه، فانه يهرب من كل محبس،
بل ان شخوص البؤس ترفض ايواؤه •

(يتمادى هناء العفرتة فى معاكسة تيلتيل
الذى يحاول عبثا صده عنه ، ثم اذا به ينفجر
فجأة بضحكة عالية وينصرف بلا دافع كما
أتى) •

هو : ماذا به ؟ هل أصابه مسّ من الجنون ؟

بسمّة النور : لست أدري ، والظاهر أن حالك يكون كحال هين
تحامق وتركب رأسك ، ولكن بقي علينا أن
نسأل عن الطائر الأزرق فلعلّ زعيم هناء البيت
لا يجهل مكانه •

هو : (يسأل الزعيم) أين الطائر الأزرق ؟

الهناء : صاحبنا لا يعرف أين الطائر الأزرق •

(تضج كل شخص ههنا البيت
بالضحك) •

هو : (فى غضب) نعم ، لا أعرف أين هو ، وليس فى

هذا مدعاة للضحك •

(ضحكات أخرى) •

الهناء : حلمك ، لا تغضب ، (ثم الى بقية شخص ههنا)

دعونا الآن نتكلم بجدّ ، انه صادق فى قوله انه

لا يعرف أين الطائر الأزرق • وما العجب فى

ذلك ؟ انه ليس بأقلّ غفلة عن بقية الناس ، ولكن

ها هو هناء التمتع بالجرى على قطرات الندى بأقدام

حافية قد نقل النبا الى النعم الكبرى وها هي ذى
تتقدم الينا •

هو : ما أجملهن ، لماذا لا يضحكن • أهْنٌ غير
سعيدات ؟

يسمة النور : لا يكون الضحك دائما دليلا على فرط السعادة •

تيلتيل : مَنْ هُنَّ ؟

الهناء : هي النعم الكبرى •

هو : أتعرف أسماءهن ؟

الهناء : أعرفها بطبيعة الحال ، فلطالما لعبت معهن ، ها هي

ذى أولا وفى مقدمة الباقيات ، نعمة القدرة على

العدل ، وهى تبسم كلما رأت انتصارا على ظلم ،

وأنا لصغر سنى لم أرها تبسم بعد ، ومن ورائها

نعمة طيبة القلب ، هى أكثرهن سعادة وان كانت

أكثرهن أسمى ، ونحن لا نحتجزها الا بمشقة

عن مضيها لشخوص البؤس الذين تود أن

تواسيهم ، وعن اليمين نعمة الراحة فى انجاز

العمل ، بجانبها نعمة الفكر ، ثم نعمة الفهم ،

وهى تبحث دائما عن شقيقها : ترف الاستغناء عن

الفهم •

هو : ولكنى رأيت شقيقها ، انه ذهب الى شخص

البؤس مع شخص الترف •

الهاء : كنت واثقا من ذلك فانه أصبح ضالا أحق من

فرط معاشرته لقرناء السوء ، فأصيت طباعه

بالشدوذ ، ولكن حذار من أن تجيء سيرته على

لساننا أمام شقيقته والا مضت تبحث عنه وفقدته

بذلك وجود نعمة كبرى بيننا ، وهاهى ذى أيضا

واحدة من النعم الكبرى ، انها نعمة رؤية الجمال

أينما كان ، انها تضيف كل يوم مزيدا من بهاء

أشعتها على الضوء الذى يغمر هذا المكان •

هو : ومن هى المائلة هناك ، بعيدا ، بين السحب

الوردية ، لا أراها الا اذا شئت غاية جهدى على

أصابع قدمي •

الهاء : هذه هى نعمة القدرة على الحب ، ولكن هيهات

لك أن تتبينها كل التبين فأنت ما زلت صغيرا •

هو : ومن هنّ الواقفات الى الخلف ، يمنعهن التهب

عن التقدم الينا ، ولماذا وجوهن محجبة ؟

الهاء : هى النعم التى لم يعرفها الانسان بعد •

هو : وماذا تدبره الأخريات لنا ، وما لهن قد انشققن

صفين ؟

الهناء : لاستقبال نعمة أخرى قادمة ، لعلها أكثر النعم
طهارة وصفاء •

هو : ومن تكون ؟

الهناء : ألم تتبين بعد ؟ فأنعم النظر اليها ، وافتح عينك
ليطل منهما قلبك أيضا • هذه النعمة قد رأيتك ،
قد رأيتك ، انها تجرى نحوك فاتحة لك ذراعيها ،
انها نعمة الأمومة متمثلة في أمك ، وان نعمة
الأمومة ليس كمثلها نعمة أخرى •

(تتزاحم النعم حول نعمة الأمومة وترحب
بها ثم تصطف بين يديها وتلزم الصمت
توقيرا لها) •

نعمة الأمومة : تلتيل وأنت يا ميتيل ، كيف أجدكما هنا ؟ لم أكن
أنتوقع لقاءكما ، اذ كنت أعانى من الوحدة فى
البيت ، فاذا بكما تعرجان الى السماء حيث تتألق
بالسرور أرواح كل الأمهات ، ولكن لتبادل
العناق والقبلات ، قبلات كثيرة ، قدر ما نستطيع ،
ارتميا فى حضنى فليس فى العالم سعادة أكبر من
هذه السعادة ، لماذا لا تبسم من البشر يا تلتيل ،
وأنت كذلك يا ميتيل ، ألا تسيان حب أمكما ،
انظرا الى بامعان ، ألا تريان عيني وشفتي
وذراعي •

هو : نعم ، نعم ، اننى أنينها ولكنى لم أكن أدرى ،
لك صورة أمتا ولكنك أجمل منها •

نعمة الأمومة : هذا حق لا أننى أصبحت لا أتقدم فى الشيخوخة ،
وكل يوم يمضى يمنحني فيضا من القوة والشباب
والسعادة ، وكل بسمة منكما ترفع مما مضى لى من
عمر يشغل كاهلى سنة بأكملها ، لا يتبين لكما هذا
فى البيت ولكن كل شىء هنا متين على حقيقته •

هو : - تأخذه الدهشة ويتأمل أمه ويحضنها ويعانقها
بدوره - ما هذا الثوب الجميل ، من أى نسيج
هو ؟ أهو من حرير أو من فضة أو من لؤلؤ ••

نعمة الأمومة : كلا ، انه من خنو النظرات والقبلات واللمسات ،
فكل قبلة تهبه شعاعا من القمر أو من الشمس •
هو : هذا عجب ، فلم أكن أحسب قط أنك على مثل
هذا الثراء ، فأين اذن كنت تخفين هذا الثوب
الجميل ، أفى الصوان الذى مفتاحه مع أبى ؟

نعمة الأمومة : كلا ، كنت ألبسه كل يوم ، ولكن العين لا تراه
لأنها لا ترى شيئا اذا كانت بلا بصيرة فكأنها
مغمضة ، هذا الثراء لكل أم تحب أولادها ، فقيرة
هى أم دمية أم عجوز ، فان حب الأم لا أولادها
هو من بين النعم الكبرى أكثرها جمالا وبهاء ،

وكل سحابة من الحزن على وجه أم يكفيها لكي
تقشع وتبدد قبلة واحدة تهبها أو تنالها وتصبح
الدموع نجوما تتلألأ في محجريها *

هو : (ينظر إليها في دهشة) نعم ، هذا حق ، فاني أرى
نجوما تتلألأ في محجريك ، انهما عيناك كما
عرفتهما ولكنهما الآن أكثر بهاء ، وها هي ذى
يدك أيضا ، وها هو ذا خاتمك ، بل ها أنذا أرى
أثر الحرق الذى أصابها ذات يوم وأنت تشعلين
المصباح ، ولكن زاد بياض هذه اليد وزاد صفاء
بشرتها ، كأنما يفيج منها النور * أهى تعينك الآن
فى العمل كما كانت تفعل سابقتهما فى البيت ؟

نعمة الأمومة : نعم ، فهى يد واحدة لم تبدل ، أفلم تكن تراها
فى البيت تتألق بالبياض ويفج منها النور كلما
ربتت عليك بحنان ؟

تيليتل : هذا عجيب يا أمى ، هذا هو صوتك بعينه ، ولكن
كلامك هنا أجمل من كلامك فى البيت *

نعمة الأمومة : أنسيت كثرة مشاغلى فى البيت وزحمة العمل ،
ولكن احساس القلب يغنى عن شهادة الأذن
والآن وقد أبصرتنى فهل يا ترى ستبين صورتى
هذه اذا عدت للكوخ غدا ورأيتنى فى ثيابى الممزقة؟

هو : لا أريد أن أعود ما دمت أنت هنا ، فاني أحب أن
أكون معك طوال بقائك في هذا المكان .

نعمة الأمومة : الأمر سيان ، لا فرق بين بقائنا معا هنا وبين بقائنا
معا في البيت ، أنت وأنا ، أنت لم تأت هنا الا لتدرك
وتعرف في أية صورة ينبغي لك أن تراني حين
تراني في البيت . أفاهم أنت يا تيلتل ؟ أنت تحسب
أنك الآن في عالم علوى ، ولكن هذا العالم
العلوى لم يكن ينقصنا من قبل كلما تبادلنا العناق
والقبلات ، ومعنى الأم لا يقبل التثنية ، فليس لك
أم سواي ، لكل ولد أم واحدة لا تبدل ، هي
عنده دائما أجمل الأمهات ولكن ينبغي له أن
يدرك حقيقتها ويعرف كيف يراها ، ولكن قل لي
كيف فعلت حتى وصلت الى هذا المكان ووجدت
طريقا ظل الانسان يبحث عنه منذ أن سكن
الأرض ؟

هو : (مشيرا الى بسمة النور) هي التي قادتنى (تراجع
بسمة النور متحشمة) .

نعمة الأمومة : ومن تكون هي ؟

هو : انها بسمة النور .

نعمة الأمومة : اذن هذه هي صاحبتك التي سمعت عنها ، يقولون

انها تحبك كثيرا ، وانها طيبة القلب • ولكن لماذا
تتجنب ؟ ألا تسفر عن وجهها أبدا ؟
هو : نعم نعم ، ولكنها تخشى أن يتزلزل الهناء اذا تجلّت
له الحقائق بفضلها •

نعمة الأمومة : ألا تدري صاحبك اذن أنها هي التي تنتظرها دون
أحد سواها ، (تنادى على بقية النعم) أقدمن
يا اخواتي ، أقدمن جميعكن ، هذه هي بسمه النور
جاءت أخيرا لتزورنا •

(تزيط النعم وتهلل وهي تقترب) •

النعم : بسمه النور هنا ، بسمه النور هنا •

نعمة الفهم : (تزيح كل أخواتها لتنفرد بمعانقة بسمه النور)
لم نكن ندرك أنك بسمه النور ، فأنت اذن هي ،
لقد لبنا ننتظرك زمنا طويلا ، أتعرفيني ؟ انني نعمة
الفهم التي طالما بحثت عنك ، انني في غاية
السعادة وان كنت لا أرى أبعد من أنفي ••

نعمة العدل : (تعانقها بدورها) هل تعرفيني ؟ انني نعمة العدل
التي طالما ناشدتك العون ، انني في غاية السعادة
وان كنت لا أرى أبعد من ظلي •

نعمة الجمال : (تعانقها كذلك) انني نعمة القدرة على رؤية

الجمال التى طالما هامت بك ، اننى فى غاية

السعادة وان كنت لا أرى أبعد من مسرى أحلامى •

نعمة الفهم : كفى كفى يا أخواتى والا طال انتظارنا ، نحن

لا ينقصنا ثبات القوة ، ولا تنقصنا سلامة الطوية ،

(مخاطبة بسمه النور) هيا ، انزعى كل الأُحجية

التى تخفى عنا بقية الحقائق ، وبقية النعم ، ها أنت

ذى ترين كل أخواتى راكعات عند قدميك ، فأنت

مليكتنا ، وأنت ثوابنا •

بسمه النور : (وهى تمنع فى حجب وجهها) أخواتى ، أخواتى ،

الجميلات ، ان لى مولى أطيعه ، لم يحن الوقت

بعد ، لعله يحين فيما بعد ، حينئذ سأقبل عليكى

بلا خشية ، منفلة من حجب الظلال ، فوداعا ،

انهضن تتبادل العناق ، مرة بعد أخرى ، شأن

شقيقات اجتمعن بعد فراق ، انتظارا منا لليوم

الموعود •

نعمة الأمومة : لن أنسى كرم رعايتك لولدى الحبيين •

بسمه النور : اننى سأرعى دائما كل أناس يحب بعضهم بعضا •

نعمة الفهم : لتكن آخر قبلاتك قبلة على جينى •

(تتبادلان العناق طويلا ثم تنفصلان فاذا

فى العيون دموع تترقرق) •

هو : (بدهشة) لماذا تبكيان ؟ (ينظر الى بقية النعم)
وأنتن أيضا ، لم البكاء ، لماذا لم تبق واحدة لم
تترقق في عينيها الدموع ؟
بسمه النور : اسكت يا بنيّ ♦♦

سستار

الفصل الخامس

عالم الفد المنظر العاشر

بهو فسيح في قصر الأثير ، حيث يقيم
الأطفال الذين لم يولدوا بعد ، على مد النظر
أعمدة من الياقوت تسند عقودا من الزمرد ،
كل ما في البهو من ضوء وعتبات لازوردية ،
وشعشعة نهاية البهو حيث تتراجع الأعمدة ،
وتنبهم أواخرها : كل الأشياء كبيرها
وضئيلها تجللها غلالة من زرقة لطيفة كأنها
من عمل السحر أو من نسج الخيال ، يشذ
عن ذلك قواعد الأعمدة وتيجانها والأحجار
واسطة العقود وبعض الكراسي والمقاعد
الدائرة فانها من الرخام أو المرمر ، إلى
اليمين ، بين الأعمدة أبواب ضخمة من
العقيق ، هذه الأبواب التي سيفتحها
الدهر قبل ختام المنظر فتكشف الحياة على
الأرض ومطالع الفجر ، يتناثر يتناسق في
كل أرجاء البهو حشد من الأطفال ، يلبسون
ثيابا في زرقة السماء ، بعضهم يلعب ،
وبعضهم يتمشى ، وبعضهم مستغرق في
الحديث أو الأحلام ، وكثير منهم في سبات ،
وكثير منهم أيضا يشتغلون بين الأعمدة
بتجارب تسفر عن مخترعات الفد ،
ما يصنعونه من أدوات وعدد وأجهزة ،

وما يزرعونه أو يحنونه من نبات وزهور
وفاكهة تلفها جميعا غلالة من الزرقة السماوية
التي تجل البهوكله ، تجوس بين الأطفال في
صمت شخوص كأنها من ملائكة ، لها قامة
مديدة ، وبهاء رائع مطمئن .

يدخل من اليسار ، وكأن الدخول خلصة ،
بالتسحب خلف الأعمدة في مقدمة المسرح
كل من تيلتيل وميتيل وبسمة النور فيثور
لدخولهم بين الأطفال هرج ومرج ، ثم يهرعون
اليهم من كل صوب ، ويتحلقون حول هؤلاء
الزوار الأغراب وينظرون اليهم بدهشة .

ميتيل : أين قمع السكر والهرة والريغف ؟

بسمة النور : ليس من شأنهم الدخول هنا ، فلو تركناهم

يدخلون لعرفوا المستقبل ورفضوا الطاعة .

ميتيل : والكلب ؟

بسمة النور : يحسن أيضا أن لا يعلم ما ينتظره على مرّ القرون ،

لقد جمعتهم كلهم في قبو الكنيسة .

هو : وأين نحن ؟

بسمة النور : نحن في عالم الغد ، بين الأطفال الذين لم يولدوا

بعد ، وبما أن الماسة ستتيح لنا أن نبصر هنا

بوضوح كل ما يعجز الانسان عن رؤيته فانا في

أغلب الاحتمال سنعثر هنا على الطائر الأزرق .

هو : عسير أن لا يكون أزرق اللون ، فهذا هو لون كل

شيء هنا (يتأمل فيما حوله) ما أجمل هذا المشهد .

بسمۃ النور : انظر الى الأطفال الذين يجرون اليك •

هو : هل أغضبهم حضورنا ؟

بسمۃ النور : كلا ، فأنت ترى أنهم يتسمون ولكنهم فى دهشة •

الأطفال الزرق : (يجرون اليهم وقد تكاثر عددهم) أحياء صغار ،

تعالوا وانظروا الأحياء الصغار •

هو : لماذا يسموننا بالأحياء الصغار ؟

بسمۃ النور : لأنهم لم يصبحوا بعد من الأحياء •

هو : وماذا يفعلون اذن ؟

بسمۃ النور : انهم ينتظرون ساعة مولدهم •

هو : ساعة مولدهم ؟

بسمۃ النور : نعم ، فهنا يتجمع كل الأطفال الذين يولدون فى

الأرض ، وكل واحد منهم ينتظر ساعته ، وحين

يود الآباء والأمهات أن يرزقوا بأطفال فان هذا

الباب الكبير الذى تراه هناك ، على اليمين ، ينفتح

ويخرج منه هبتهم من الأطفال •

هو : ما أكثر عددهم ، ما أكثر عددهم ؟

بسمۃ النور : وهناك كثير أيضا غيرهم ، فنحن لا نراهم كلهم ،

نخيل عدد الأطفال الذين سيعمرون الأرض الى

آخر الدهر ، لا أحد يقوى على احصائهم •

هو : ومن هى تلك الشخصوس الزرق ؟

بسمۃ النور : لا یدری أحد أمرها علی وجه التحقيق ، یقال انها الحارسات الحفظۃ ، وعهدها بالأرض یأتی بعد

هو : عهد البشر ، غیر انه لا یجوز لنا أن نستجوبها •
بسمۃ النور : ولماذا ؟

هو : لأن ما عندها هو سر الأرض •
بسمۃ النور : وما القول فی الصغار ؟ هل نستطیع أن نكلّمهم ؟
نعم ، وینبغی أن تتعارف ، انظر ، ها هو ذا واحد منهم أشدّ من الآخرين تطلّعا الیک فاقترّب منه وکلّمه •

هو : وماذا أقول له ؟
بسمۃ النور : ما شئت ، كأنما تتحدث الی رفیق •
هو : وهل لی أن أصفحه ؟

بسمۃ النور : بطبیعة الحال • فهو لن یؤذیک ، ولكن عجبا لک ، لیمّ هذا التهیّب ، سأترککما وحدکما لتجد راحتک معه ، ثم لا بد لی من أن أتحدث مع الشخوص الزرق •

هو : (یقترب من الطفل الأزرق ویمد له یده) أهلا وسهلا ، (یلمس باصبعه ثوبه الأزرق) ما هذا ؟
الطفل الأزرق : (یلمس بجذّ قبعة تیلیل) وما هذه ؟
هو : هذه هی قبعتی ، ألیس لک قبعة ؟

الطفل الأزرق : لا ، وفيمْ لبس القبعات ؟
هو : خلعها يعنى الإشارة بالتحية ، ثم انها تنفع فى
البرد •

الطفل الأزرق : وما هو البرد ؟
هو : حين يرتجف جسدك هكذا (يقلد تيلتل حركة
ارتجاف المقرور) وحين تنفخ فى كفيك وتطوّح
بذراعيك هكذا (يطوّح تيلتل بذراعيه) •

الطفل الأزرق : هل فى الأرض برد ؟
هو : نعم ، فى فصل الشتاء ، حين لا حطب فى المدفئة •

الطفل الأزرق : ولماذا لا يكون فيها حطب ؟
هو : لأنه غالى الثمن ولا بد من نقود لشرائه •

الطفل الأزرق : ما هى النقود ؟
هو : هى الشئ الذى ندفع به •

الطفل الأزرق : فهت •

هو : وبيننا من عنده نقود ، وبيننا من ليس عنده نقود •
الطفل الأزرق : ولماذا ؟

هو : لا نقود الا عند الأغنياء ، هل أنت غنى ؟ كم
عمرك ؟

الطفل الأزرق : سأولد عما قريب ، بعد عشر سنوات ، كيف
وجدت أنت الولادة ، هل طببت بها ؟

هو : نعم وسررت أيضا •

الطفل الأزرق : وماذا فعلت لتتألها ؟

هو : لم أعد أذكر ، فقد مضى عليها وقت طويل •

الطفل الأزرق : سمعنا كلاما كثيرا عن جمال الأرض وجمال
الأحياء •

هو : صدقت ، فأنا لا أشكو من شيء ، فعندنا طيور
وكعك ولعب ، بعض الأولاد عندهم كل هذا ،
ومن ليس عنده يستطيع أن يتمتع برؤيتها في يد
الآخرين •

هو : سمعنا ان الأمهات يقفن بالأبواب لمراقبتنا ،
يقال انهن طيبات القلب ، أحقّ هذا ؟

هو : نعم ، الأمهات أبدع شيء في الأرض ، والجداات
أيضا ، غير ان الموت يتخطف الجداات سريعا •

الطفل الأزرق : تقول الموت ؟ ما هو الموت ؟

هو : رحيل ذات مساء بلا عودة •

الطفل الأزرق : لماذا ؟

هو : لا أحد يدري ، لعلّ الدافع على الرحيل هو طلب
النجاة من الأحزان •

الطفل الأزرق : وهل رحلت عنكم من تسميا جدتك ؟

هو : نعم ، وكانت طيبة القلب جدا .

الطفل الأزرق : ماذا جرى لعينيك ، انهما تذرفان دموعًا .

هو : ليس دموعًا .

الطفل الأزرق : ما هو إذن ؟

هو : لا شيء سوى أثر انبهار بصرى من انتشار الزرق

حولى .

الطفل الأزرق : وما اسمه ؟

هو : اسم ماذا ؟

الطفل الأزرق : هذا الذى يترقرق فى عينيك .

هو : ما هو الا قطرات من الماء .

الطفل الأزرق : وهل ينبع من العينين ؟

هو : نعم ، أحيانا ، عند البكاء .

الطفل الأزرق : تقول البكاء ؟ ما هو البكاء ؟

هو : اننى لم أبك ، الذنب ذنب الزرقه من حولى ، ولو

بكيت لكان حالى أيضا كما ترى .

الطفل الأزرق : وهل يكون عندكم كثيرا ؟

هو : الصبيان لا يكون ، أما البنات ... وهل عندكم

أنتم بكاء ؟

الطفل الأزرق : كلا ، ولا أعرف كيف أبكى .

هو : صبرا ! ستعرف فيما بعد ، بماذا تلعب ، ما هذه الأجنحة الكبيرة ؟

الطفل الأزرق : هذه ؟ انها من أجل الاختراع الذى سأقوم به فى الأرض .

هو : أى اختراع هو ؟ هل اخترعت شيئا ؟
الطفل الأزرق : نعم ، أفلا تدري ؟ حين أحلّ بالأرض ينبغي لى أن أخترع الشيء الذى يهب السعادة .

هو : أهو شيء لذيذٌ أكله ، أم شيء له ضجيج ؟
الطفل الأزرق : كلا ، لا حسّ له .

هو : يا للخسارة ..
الطفل الأول : اننى أشتغل به كل يوم ، وأكاد الآن أنجزه ، هل تريد أن تراه ؟

هو : طبعاً ، أين هو ؟
الطفل الأزرق : هناك ، بين عمودين ، يمكنك أن تراه من هنا .
(يقترب طفل أزرق آخر من تيلتيل ويشده من كفه) .

الطفل الثانى : هل تريد أن ترى اختراعى أنا أيضا ؟

هو : نعم ، وما هو ؟

الطفل الثانى : الوصفات الأربع والأربعون لاطالة الحياة ، انها فى هذه الزجاجات الزرقاء .

طفل ثالث : (يخرج من الحشد) أما أنا فأسلّط نوراً لا يعرفه
أحد (يسطع جسمه بنور عجيب) أليس هذا
بغريب ؟

طفل رابع : (يشد تيلتيل من ذراعه) تعالَ لكى ترى الآلة
التي اخترعتها ، انها تحلق في الهواء كأنها طائر
• بلا جناح •

طفل خامس : صبرا صبرا ، تعالوا أوّلاً لتروا اختراعى أنا ، انه
يكشف الكنوز المخبوءة في القمر •

(يتزاحم الأطفال الزرق حول تيلتيل
وميتيل ويناشدهما كل واحد منهم بالبدء
برؤية اختراعه أولاً ، وتختلط الأصوات
فيقول صوت « انه أجمل اختراع » ويقول
صوت « انه أعجب اختراع » ويقول صوت
« انه متشكّل من السكر » ويقول صوت
« ان سر اختراعى هو في بساطته » ويقول
صوت « لقد سرقوا منى فكرتى » •

وفي هذا الضجيج يشدون تيلتيل وميتيل
الى ناحية المعامل الزرق حيث يدر كل طفل
آلته المدهشة فتدور في جو أزرق عجالات
واسطوانات وتروس وأشياء عجيبة لم تجد
لها اسماً الى اليوم ، كأنها في عالم من صنع
الخيال ، آلات كثيرة غريبة مجهولة السر
تنطلق وتحوم أعلى البهو أو تزحف على
الأرض حول الأعمدة ، على حين ينشغل بعض
الأطفال الزرق ببسط لفائف الخرائط
والرسوم وتقليب صفحات الكتب وإزاحة

الستار عن تماثيل زرق وتناول زهور ضخمة
وفواكه هائلة الحجم وكأنها من ياقوت
وزمرد •

الطفل الأزرق : (وهو رازح تحت حمل زهرة زرقاء ضخمة)

انظروا الى أزهارى •

هو : ما هذه الأزهار ؟ لا عهد لى بها •

الطفل الأزرق : انها من زهور الربيع •

هو : مستحيل ، انها كبيرة كمجلة قطار •

الطفل الأزرق : وما أزكى عطرها ؟

هو : (يشمها) هائل جدا •

الطفل الأزرق : ستكون الأزهار هكذا حين أنزل الى الأرض •

هو : متى اذن ؟

الطفل الأزرق : بعد ثلاث وخمسين سنة ، وأربعة شهور ، وتسعة

أيام •

(ويأتى اثنان من الأطفال الزرق يحملان
عنقودا عجيبا من العنب ، حباته فى حجم
الكمثرى وكأنه ثريا بللورية ضخمة) •

أحد الطفلين : وما رأيك فى فاكهتى ؟

هو : أهو عنقود من الكمثرى ؟

الطفل : كلا ، أنه عنقود من العنب ، وسيصبح كل عنب

هكذا حين أبلغ الثلاثين من عمرى فقد اكتشفت
السّر •

طفل آخر : (ينوء بحمل قفص به تفاح فى حجم البطيخ)
انظرنى أنا • هل ترى تفاحى ؟

هو : انه بطيخ لا تفاح •

الطفل : كلا ، انه تفاحى ، وهو ليس أفضل ما عندى ، كل
تفاح سيكون هكذا حين أصبح بين الأحياء ، فقد
اهتديت الى السرّ ، وسأكون بستانى الملك صاحب
الأفلاك التسعة •

هو : الملك صاحب الأفلاك التسعة ؟ أين هو ؟

الملك : (يتقدم بخيلاء ، عمره أربع سنوات فيما يبدو)
لا يكاد يملك الوقوف على ساقيه الصغيرتين
المعوجّتين ، هو أنا •

هو : ولكنك غير كبير السن •

الملك : (بلهجة ملؤها الجدّ والعتاب) غير أن كل الذى
سأفعله سيكون كبيرا •

هو : أى شىء ستفعل ؟

الملك : سأؤسس الاتحاد العام للأفلاك السماوية •

هو : (ملحا فى السؤال) حقا ؟

الملك : كلها ستصبح أعضاء فى الاتحاد ما عدا المشترى

واورانوس ونبتيون فهى على بعد مهول يجبل
عن القياس •

هو : شىء بديع •

طفل أزرق : هل ترى هذا الطفل هناك ؟

هو : أيهم ؟

الطفل : هناك ، الطفل الصغير النائم عند قاعدة عمود •

هو : وما خبره ؟

الطفل : انه سيهب الفرح للأرض •

هو : وكيف ؟

الطفل : بأفكار لم تتولد بعد •

هو : وهذا الطفل السمين الذى يدس اصبعه فى أنفه ،
ماذا سيفعل ؟

الطفل : سيكشف النار التى تستمد منها الأرض دفئها اذا
ما وهنت حرارة الشمس •

هو : وهذان الطفلان اللذان لا يكفان عن تبادل العناق
وقد شدّ كل منهما على يد الآخر • هل هما أخ
وأخت ؟

الطفل : كلا ، انهما طفلان نحن فى حيرة من أمرهما ،
انهما هما العاشقان •

هو : وما معنى عاشق ؟

الطفل

: لست أدري ، هكذا يسميهما الدهر ، من قيل
السخرية بهم ، لا عمل لهما طول اليوم الا تبادل
النظرات والقبلات وتنهيدات الوداع •

هو

: ولماذا ؟

الطفل

: لأنهما لن يتاح لهما فيما يبدو أن ينزلا الى
الأرض معا •

هو

: وهذا الطفل أبو الخدين الموردين الذي يمص
ابهامه وقد بدت عليه امارات الجد • من هو ؟

الطفل

: انه - فيما يبدو - المكلف بمحو المظالم من على
وجه الأرض •

هو

: حقاً ؟

الطفل

: يقال انه عمل شاق •

هو

: وهذا الطفل الأشقر الذي يمشى وكأنه لا يرى
شيئاً ، هل هو مصاب بالعمى ؟

الطفل

: لم يصبه للآن ولكن سيصيبه فيما بعد ، تأمله
جيداً ، انه فيما يبدو المكلف بالانتصار على
الموت •

هو

: ماذا سيعمل ؟

الطفل

: لست أدري على وجه اليقين ، ولكن يقال ان
عمله سيكون هائلاً •

(يشير تيلتيل الى أطفال نائمين عند
قواعد الأعمدة ، وفوق الدرج وعلى
المقاعد) .

هو : وكل هؤلاء النائمين ، وما أكثر النائمين هنا ، ألن
يكون لهم عمل ؟

الطفل : ان ذهنهم هو الذى يعمل الآن •

هو : من أجل ماذا ؟

الطفل : انهم لا يدرون بعد ، ولكن ينبغي لهم أن يمنحوا
الأرض شيئا فممنوع علينا هنا أن نخرج الى
الأرض وجعبتنا فارغة •

هو : ومن الذى يمنعكم ؟

الطفل : انه الدهر الذى يقف بالباب وسترى حين يفتحه
انه لا يترفق بنا •

(طفل يجرى من مؤخرة البهو يشق
الحشد) •

الطفل : أهلا يا تيلتيل •

هو : عجبا ، كيف عرفت اسمى •

الطفل : (وهو يلهث ويرشق تيلتيل وميتيل بقبلات حارة)

أهلا بكما ، كيف حالكما ، تعال يا تيلتيل عاتقنى ،
وأنت أيضا يا ميتيل ، ليس من العجيب يا تيلتيل
أن أعرف اسمك اذ أنتى سأكون أخاك ، لم أسمع
الا الآن بمقدمك ، كنت فى نهاية البهو منشغلا

هو : بجمع أفكارى وحزمها ، قلْ لأبى اننى مستعد .
كيف ؟ أعازم أنت على المجيء عندنا ؟

الطفل : طبعاً ، السنة القادمة ، فى عيد الفصح ، أرجوك
أن لا تعذبنى كثيراً أثناء طفولتى بينكم ، ويسعدنى
أن استطعت عناقكما مقدماً ، وقلْ لأبى أن يصلح
المهد ، هل الأحوال عندكم طيبة ؟

هو : لا بأس بها ، وأمى طيبة القلب جداً .
الطفل : والطعام ؟

هو : أنت وبختك ، وقد تأكل فى بعض الأيام فطائر
حلوة ، أليس كذلك يا ميتيل .

هى : فى الأعياد وأما هى التى تصنعها بيدها .
هو : ما هذا الذى وضعته فى كيسك . ما الذى ستأتى
به إلينا ؟

الطفل : سأأتى ومعى ثلاثة أمراض : الحصبة ، والسعال
الديكى ، والحمى القرمزية .

هو : كفاية كفاية ، ثم ماذا أنت فاعل بنفسك بعد ذلك ؟

الطفل : بعد ذلك سأرحل .

هو : لم يكن هناك اذن داع للمجيء .

الطفل : وهل لنا خيار ؟

(يعلو في هذه اللحظة ثم ينتشر صوت
بللورى له ذبذبة متصلة قوية ينبعث فيما
بيدو من الأعمدة والأبواب العتيقة وقد
غمرها نور أشد سطوعا) .

هو :

ما هذا ؟

الطفل :

هذا هو الدهر ، انه يوشك أن يفتح الأبواب .

(يشيع الهرج والمرج بين الأطفال ، يترك
أغلبهم آلاتهم وأعمالهم ، النائم منهم
يستيقظ ، ويحول الجميع أبصارهم نحو
الأبواب العتيقة ثم يقتربون منها)

بسمه النور :

(وقد عادت الى تيلتيل) هيّا نحاول الاختفاء وراء

الأعمدة ، اذ ينبغي أن لا يكتشف الدهر وجودنا

• هنا

هو :

من أين ينبعث هذا الصوت ؟

الطفل :

انه الفجر وقد أوشك أن يطلع ، انها الساعة التي

ينزل فيها الى الأرض كل طفل سيولد اليوم .

هو :

وكيف ينزلون ؟ هل هناك سلم ؟

الطفل :

سترى ، انظر الى الدهر ، انه يشدّ المزلاج .

هو :

ومن هو هذا الدهر ؟

الطفل :

انه رجل شيخ ، ينادى الأطفال النازلين .

هو :

وهل هو شرير ؟

الطفل :

كلا ، ولكنه لا يسمع لنا قولا فانه رغم التوسّل

يصد كل راغب فى النزول اذا لم يكن قد أنى

دوره •

: وهل يسعدهم هذا النزول للأرض ؟

هو

الطفل

: على كل حال لا يسعدنا البقاء هنا اذا حرمانا من

النزول للأرض • غير أننا حين ننزل نشعر

بمسحة من الحزن •• أنظر أنظر ، هذا هو الدهر

يفتح الأبواب •

(تنفتح الأبواب على مصاريعها ببطء ،

وتصل الى الأسماع من بعيد ضجة الأرض

كأنها أنغام موسيقية) •

: (فى هيئة شيخ له لحية طويلة يحمل منجلا

الدهر

وساعة رملية ، يظهر عند الباب ثم تلوح أطراف

أشعة بيض وزهية لسفن راسية على أرصفة

منعقدة من أنفاس الفجر الندية ، يتكلم وهو على

عتبة الباب) هل استعد كل من دقت ساعته ؟

(يهرع اليه أطفال زرق وهم يشقون

الحشد من كل جانب) •

: مستعدون ، مستعدون ، مستعدون •

الأطفال

: (فى صوت أجش غضوب ، يقول للأطفال وهم

الدهر

يمرون أمامه استعدادا للنزول) واحدا واحدا ،

لقد تقدم منكم عدد أكثر مما ينبغي ، الحال

لا يتغير ، ولكن هيهات أن يستغفنى أحد ،

(يصدّ طفلاً) ليس هذا دورك ، عدّ ، فموعدك
غداً ، وانت كذلك مثله ، ان موعدك بعد عشر
سنوات ، ماذا ؟ أراع آخر يريد النزول ، انه
الثالث عشر ولا يلزمنا الا اثنا عشر فقد انقضى عهد
الرعاة ، وهذا حشد من الأطباء ، سبق أن نزل
منهم أكثر مما يلزم أهل الأرض حتى جأروا
بالشكوى • وأين المهندسون ؟ هناك حاجة لرجل
أمين بينهم ، رجل واحد ، يكون بمثابة المعجزة في
الأرض ، فأين هو هذا الرجل الأمين ؟ (يشير
الى طفل قائلاً) أنت ؟ (تفيد هزة من رأس الطفل
انه يقول نعم) ولكنك نحيف ، ولن تعيش طويلاً ،
وأنتم (مشيراً الى أطفال يتزاحمون على النزول)
أنتم هناك ، لا تسرعوا هكذا ، (الى طفل) وأنت
ماذا ستحمل للأرض ؟ لا شيء ؟ يدك خلو ؟ اذن
لا تنزل لك • عليك أن تعدّ لأهل الأرض شيئاً ،
حتى ولو جريمة كبيرة اذا شئت ، أو عدوى وباء ،
فالأمر لا يعنيني ، وسيان عندي هذا وذاك ، ولكن
لا بد أن تحمل لهم شيئاً ان أردت النزول ،
(يقع بصره على طفل يدفعه الآخرون للأمام وهو
يغالهم بجهد) وانت ماذا بك ؟ انت تعلم حق العلم
ان الساعة ساعتك فهناك طلب لبطل يحارب الظلم ،

فأنت من يجب عليه النزول •

الأطفال : انه لا يريد النزول يا سيدنا •

الدهر : كيف ؟ لا يريد النزول ؟ أين يحسب نفسه هذا

المسخ ؟ ألا يعلم أن لا شفاعة ولا شفيع هنا ؟

(الى الطفل) هيا هيا ، فليس لدينا وقت •

الطفل المتأبى : لا • لا • لا أريد ، أحب أن لا أولد ، أفضل
على النزول : البقاء هنا •

الدهر : لادخل هنا لحبك أو لكرهك ، اذا أزلت الساعة

فليس منها مفر ، هيا ، الى الأمام ، أسرع

طفل آخر يتقدم : دعوني أمر ، سأخذ دوره ، فقد سمعت أن

أبوى عجوزان ، وانهما ينتظراننى منذ أمد
طويل •

الدهر : دعنا من هذا ، فالساعة هى الساعة ، والدهر هو

الدهر ، لو أصغيت لكم لما فرغت ، هذا يريد ،

وذاك لا يريد ، هذا متعجل ، وذاك متباطئ

(يزيح عن عتبة الباب كل الأطفال المتراحمين

عليها) لا تقتربوا كثيرا يا أولاد ، الى وراء كل

فضولى ، من لم يأت دوره لا شأن له بما وراء

الباب ، أنتم الآن تلهفون على الخروج وحين

يجىء دوركم اذا بكم تكسون فى خوف

انظروا ، ها هم أربعة أطفال يرتشمون كورقة في
مهبّ الريح ، (الى طفل لم يكذبهم بالخروج
حتى عاد أدراجه) ماذا بك ؟

الطفل : نسيت الصندوق الذى وضعت فيه الجريمتين اللتين
سأرتكبهما فى الأرض •

طفل آخر : ونسيت أنا القمقم الذى وضعت فيه الفكرة التى
ستتير للناس طريقهم •

الطفل الثالث : ونسيت أنا البذرة التى ستطرح أجمل الكمثرى •

الدهر : أسرعوا وأتوا بها، لم يبق أماننا الا اثنتان وسبعون
ثانية ، ان سفينة الفجر تهز شراعها دلالة على أنها
تستعجلنا ، اذا تأخرتم أقلعت دونكم ولم تولدوا ،
هيا هيا ، انزلوا الى السفينة (يمسك بطفل يحاول
المروق من بين ساقه ليركب السفينة) ماذا أفعل
بك ؟ لقد عيل صبرى ، هذه ثالث مرة تحاول فيها
أن تولد قبل دورك احذر أن تقع يدي عليك مرة
أخرى والا سيكون انتظارك أبدياً ، ويكون مقامك
فى جوار أخى الأزل ، وانت تعلم انه مقام
عصيب ، دعونى الآن لعملى ، هل نحن جميعا
مستعدون ؟ هل كل واحد منا فى مكانه ؟
(تستعرض نظراته الأطفال الذين تجمعوا على

الرصيف أو جلسوا فى السفينة) ينقصنا واحد ،
 يختبئ كما يشاء فانى لا بُدّ واجده رغم الزحام ،
 فهيهات أن يستغفلنى أحد ! فهيا ، انت هناك ،
 انت الذى يسمونه بالعاشق ، قل وداعا لعشيقتك
 وتعال (زوج العشاق وهما فى عناق طويل ، لكل
 منهما وجه محنق يأس يتقدمان نحو الدهر
 ويركعان أمامه •

البنيت : دعنى يا سيدى أرحل معه •

الولد : دعنى يا سيدى أمش معها •

الدهر : مستحيل ، لم يبق أمامنا الا ثلاثمائة وأربع
 وتسعون ثانية ، وليس لأحد منكم خيار هنا •

البنيت : سيدى ، سيكون نزولى الى الأرض بعد فوات
 فرصة اللقاء •

الولد : لن أكون هناك حين تنزل هى •

البنيت : لن تتاح لى رؤيته بعد اليوم •

الولد : سيعيش كل منا فى الأرض وحيدا •

الدهر : كل هذا لا يعنينى ، قدّما التماسكما الى الحياة أما
 أنا فأجمع وأفرق تنفيذا للأوامر ، (يمسك بالولد
 ويقول له) : تعال •

- الولد** : لا . لا . خذها هي أيضا .
- البنت** : (تتشبث بشباب الولد) دعه لي ، دعه لي .
- الدمر** : رشادكما ! انتي لا آقوده للموت ! بل للحياة
(يجر الولد قائلا له : تعال تعال) .
- البنت** : (تمد يدها بيأس نحوه) اجعل لي علامة ، علامة ،
قل لي كيف ألقاك ؟
- الولد** : سأحبك الى الأبد .
- البنت** : سأكون سقيمة من الحزن ، وهذه هي علامتي التي
ستعرفني بها .
- (تسقط وتظل ميطرحة على الأرض) .
- الدمر** : تجملني ، فهذا أفضل لك ، والآن قد انتهينا (ينظر
الى ساعته الرملية) لم يبق أماننا الا ثلاث وستون
ثانية .

(يشدد آخر هرج ومرج للأطفال الراحلين
والباقيين ، تبادل لعناق الوداع في عجلة
« ألى اللقاء يا بيير » - « الى اللقاء يا جان »
« هل أخذت كل ما يلزمك ؟ » - « بشر
بأفكاري » - « ألم تنس شيئا » - « لا تنس
أن تلقاني هناك » - « سأهتدي اليك » -
« اياك أن تفقد فكرتك » - « احذر أن تميل
كثيرا وأنت تطل من حافة السفينة على
الفضاء » - « ابعت لنا بأخبارك » - « اخبرنا

هل الحال طيب هناك « - ستجدنى فى
لقائك » سأولد على عرش الخ الخ) •

الدهر : (وهو يهز منجله ومفاتيحه) كفى كفى ، رفعت
السفينة أنجرها وأوشكت على الاقلاع •

« يمر شراع السفينة ثم يختفى ، ونسمع
تهليل راكبيها وهى متباعدة : « الأرض ،
الأرض ، انى أراها ، انها جميلة » ، انها
مضيئة ، انها كبيرة ، ثم تنبعث وكأنما من
قرار سحيق أغنية تأتى من بعيد كلها مرح
وترقب » •

هو : (الى بسمة النور) ما هذه الأغنية ؟ انها ليست
فيما يبدو من غناء الأطفال الراحلين ، فالصوت
مختلف •

بسمة النور : نعم ، فهذه هى أغنية الأمهات المتطلعات للقاء
الأطفال •

(يغلق الدهر الأبواب الحقيقية ثم يلتفت
ليلقى آخر نظرة على البهو فاذا به يفاجأ
بتلتييل وميتيل وبسمة النور) •

الدهر : (فى دهشة وغضب) ما هذا ؟ ماذا تفعلون هنا ؟
من أنتم ؟ لماذا لونكم غير أزرق ؟ من أين دخلتم ؟

(يتقدم اليهم مهددا بمنجله) •

بسمة النور : (الى تيلتييل) لا ترد عليه ، ان الطائر الأزرق

معى ، أخفيه تحت وشاحى ، فلنهرب من هنا ،
أدر الماسة ويترى أنه سيعجز عن اقتفاء أثرنا •

(يتسللون بين الأعمدة الى اليسار
ويخرجون) •

« ستار »

الفصل السادس

المنظر الحادى عشر

الوداع

المسرح يمثل جدارا يشقه باب صغير ،
الوقت : طلوع الفجر ، يدخل تيلتيل وميتيل
وبسمة النور والرغيف وقمع السكر والنار
واللبين .

بسمة النور : ما هذا المكان فى تخمينك ؟ ستعجز عن الاجابة ولا
ريب ؟

تيلتيل : طبعا لا أستطيع أن أجيب وكيف أعرفه وأنا لم أرم
من قبل ؟

بسمة النور : ألا يتبين لك هذا الجدار وهذا الباب الصغير ؟

هو : هذا جدار أحمر وباب صغير أخضر

بسمة النور : ألا يذكرك الباب بشئ ؟

هو : يذكرنى بالباب الذى خرجنا منه هربا من الدهر .

بسمة النور : ما أغرب حال الناس حين يعيشون فى الأحلام ،

يدهم أمامهم يرونها ولكنهم لا يعرفونها .

هو : من الذى يحلم ؟ أهو أنا ؟

بسمة النور : لعلّه أنا ، من يدري ، ومع ذلك فهذا الجدار يسوّر بيتاً رأيته أنت مراراً منذ مولدك •

هو : تقولين اننى رأيته مراراً ؟

بسمة النور : صبحّ النوم ، هذا هو البيت الذى غادرناه ذات مساء منذ عام فى مثل هذا اليوم ، لا قبل ولا بعد •

هو : عام كامل ؟ ثم ماذا حدث ؟

بسمة النور : لا تجحظ عينك من الدهشة كأنهما بحيرتان من الياقوت ، انه هو البيت ، بيت والدك •

هو : (يقترب من الباب) نعم ، أظنه هو ، نعم ، يخيل الىّ ، هذا الباب الصغير ، عرفت الآن مزلاجه ، هل سأجد أهلى داخله ؟ هل نحن الآن بالقرب من أمى ؟ أود أن أدخل فوراً ، وأعانقها توّاً •

بسمة النور : انتظر لحظة ، انهما غارقان فى سبات عميق • ينبغي أن لا نوقظهما فجأة ، ثم ان الباب لا يفتح الا اذا دقت الساعة •

هو : أية ساعة ؟ وهل سيطول انتظارى ؟

بسمة النور : كلام مع الأسف ، ما هى الا دقائق قليلة •

هو : ألا يسعدك الدخول معى ؟ ماذا بك يا بسمة النور ، انك شاحبة اللون حتى ليقال انك مريضة •

يسمة النور : أنا بخير يا بنى ، ولكنى أحسّ بمسحة من

الحزن لأننى سأفارقكم •

هو : تفارقينا ؟

يسمة النور : لا مفرّ من ذلك • لم يعد لى ما أعمله هنا • لقد

حال الحول ، فان الجنية ستعود وتطالبك بالطائر

الأزرق •

هو : ولكن الطائر الأزرق ليس معى ، فان طائر عالم

الذكريات قد اسودّ لونه ، وطائر عالم الغد قد

احمرّ لونه ، وطيور فحمة الليل قد ماتت ولم

أستطع اقتناص طائر الغابة ، هل الذنب ذنبى اذا

بدلت الطيور ألوانها أو ماتت أو طارت من يدى •

وهل ستغضب الجنية ، وماذا عساها تقول ؟

يسمة النور : فملنا كل ما قدرنا عليه ، لا مفرّ من الاعتقاد بأن

الطائر الأزرق لا وجود له اذ أنه يبدّل لونه اذا

دخل القفص •

هو : وأين القفص ؟

الزغيف : ها هو ذا ياسيدى ، لقد كلفت بحمله والحرص

عليه خلال هذه الرحلة الطويلة المليئة بالأخطار ،

والآن وقد انتهت مهمتى فانى أعيده اليك سليما

محكم الاغلاق كما تسلمته ، (يتخذ لهجة الخطيب)

والآن ، باسم جميع الحاضرين أستاذكم فى أن
أضيف كلمتين •

النار : لم يأذن له أحد بالكلام •

الماء : سكوت • سكوت •

الرجيف : هذه المقاطعات الخيشة من عدوٍ حقير أو من منافس

حقود (يرفع صوته) لا تمنعنى من أداء واجبى
حتى النهاية ، لذلك ، نيابة عن الجميع أقول ••

النار : من أذنك أن تتكلم نيابة عني ، أليس لى لسان ؟

الرجيف : (مستمرا) نيابة عن الجميع أقول ، تعبيرا عن

عاطفة لا يمنعها اضمارها من أن تكون صادقة
وعميقة ، انسا نودع الآن الصبيين الصغيرين
الذين اختارهما القدر ، بعد أن تمت اليوم مهمتنا ،
فاذا قلنا لهما اليوم وداعا فانما نعبر عن حزننا
ومودتنا وتقديرنا المتبادل •••

هو : ماذا ؟ تقول وداعا ؟ أتركنا أنت أيضا ؟

الرجيف : لا مفر من ذلك مع الأسف ، نعم ، سأفارقكما

ولكنه فراق فى الظاهر ، فلا يجد الا أن آذانكم
لن تسمعنى أنكلم •

النار : لحسن الحظ !

السكوت . سكوت . سكوت ..

الرغيف : (لا يبالى بالمقاطعة وفى لهجة جادة) اننى أجاهل هذه المقاطعة ، أعود فأقول ان آذانكم لن تسمعنى أتكلّم ، لن ترونى فيما بعد نابضا بالحياة ، ستعبنى عيونكم عن رؤية سريرة الأشياء ، ولكنى سأكون هناك دائما ، فى صندوق الخبز ، وعلى الألواح ، وعلى المائدة ، بجانب قدر الحساء ، فانى بين أطعمة الانسان - ان جاز لى القول - أشدها اخلاصا له وأقدمها صحة .

النار : مهلا . مهلا وأنا ؟

بسملة القور : رشادكم ، الوقت يمرّ ، والساعة توشك أن تدق ، حيثئذ تدخلون عالم الصمت فأسرعوا بمعاينة الصغيرين .

النار : (تسرع اليهما) أنا أولا ، أولا أنا (تعانقهما بحرارة وغاطفة ملتهبة) وداعا يا تيلتيل ، وداعا يا ميتيل ، وداعا يا عزيزى ، اذكرانى اذا حدث ذات يوم أن احتجتما الى من يشعل لكما نارا ..

هو : أى° أى° ، انها تحرقنى .

هى : وتلهب أنفى .

بِسْمَةِ النُّور : رشادك يا نار ، بعض هذا الاندلاق ! انك لا

تعاين مدققة ..

الماء : يا لها من غيبة •

الرغيف : وقليلة الأدب •

الماء : (تقترب من الصيين) عفاي لكما كله ود ولا

أذى منه •

النار : احترسا فانها ستبللكما •

الماء : اننى عطوف رقيقة ، سائغة للشاربين •

النار : وما قولك فى العرقى ؟

الماء : أوصيكما بحب النافورة ، واصفيا الى خير

الجداول فانى سأكون هناك •

النار : أهو كلام أو طوفان ؟

الماء : فاذا جلستما مساءً على ضفاف الجداول ، والغابة

هنا مليئة بها - فأصيخا لها السمع لتفهما ماذا تريد

أن تقوله لكما ، ان الديموع تخفنى وتمضى عن

الكلام •

النار : لا يطابق حالها قولها •

الماء : واذكرانى اذا رأيتما الابريق ، وستجدانى أيضا

فى الكوز ، والبئر ، والمرش ، والصنبور •

قمع السكر : (وهو يبالغ بطبعه فى الرقة والتجمل) واذا بقى
ركن ولو صغير فى ذاكرتكما فلا تنسيا أن صحبتى
كانت أحيانا حلوة لكما ، لا أستطيع أن أقول أكثر
من ذلك ، فإن الدموع غير موصوفة لطبعى ، واذا
سقطت على قدمىّ أذا بهما •

الرجيف

: يا منافق !

النار

: (مقلدة صوت الباعة) سكر نبات ، ملبس ،

كراميل •

هو

: وأين اختفى تيلو وتيليت • ماذا يفعلان ؟

(تسمع صرخات عالية تنبعث من الهرة)

هى

: (فى انزعاج) هذه تيليت تنهه ، هى فى شدة
من الألم •

(تدخل الهرة جريا ، انتفض شعرها
وتلبد ، تمزقت ثيابها ، تضع منديلا على
خدها كأنما تتوجع من أضرارها ، تتوالى
لها تنهدات لا تخلو من غضب ، والكلب
يزنقها ويخبطها برأسه ويده وقدمه) •

الكلب

: (وهو يضرب الهرة) خذى ، أيكفىك هذا أم

تريدين المزيد خذى • • خذى •

بسمه النور تيليتل وميتيل يسارعون الى
فصلهما : تيلو ! أجننت ؟ العجب لك .
أرقد الا تنتهى ؟ من يصدق ؟ كفى كفى .

(يفصلون بين الاثنين بهمة) •

بسمه النور : ما هذا ؟ ما الذى حدث ؟

الهرة : (تتباكى وتمسح الدموع) انه هو الذى اعتدى علىّ يا سيدتى بسمه النور ، لقد أهاننى وشتمنى ووضع المسامير فى حسائى وشدّ ذيلى وانهال علىّ ضربا وأنا لم أفعل له شيئا •

الكلب : (يقلدها ساخرا) لم أفعل له شيئا ! (يغيظها بوضع كفه على أنفه وتلعيب أصابعه) لا يهمنى الآن شيء ، فقد ضربتك ، وضربتك ضربا موجعا ، وسأضربك •

هى : (تأخذ الهرة فى حضنها) تيليت يا مسكينة • أرينى موضع الألم ، اننى سأبكي أنا أيضا ••

بسمه النور : (تزجر الكلب) مما يزيد فى حماقتك أنك اخترت لحظة هى فى ذاتها مؤلمة لتعرض علينا هذا المشهد المشين ، ألا تعلم انها لحظة الوداع ؟

الكلب : (وقد هدا فجأة) أهو وادع للصبيين ؟

بسمه النور : نعم ، فالساعة التى تعرفها ستدق وسنرتد الى عالم الصمت فلا نستطيع بعد ذلك أن نكلمهما •

الكلب : (تندّ عنه ولولة صادقة ملؤها اليأس ويرتمى على

الصبيين ويرشقهما بقبلان حارة هو جاء) كلا ،
 كلا ، أبدا ، أبدا ، سأظل أكلهما ، انت تفهمني
 الآن يا مولاي ، أليس كذلك ؟ نعم . نعم .
 سأقول لك كل شيء ، وستقول لي كل شيء ، لن
 تشكو بعد من سوء أدبي ، وسأتعلم القراءة والكتابة
 ولعب الدومينو ، وسأكون دائما نظيفا ، ولا أسرق
 شيئا من المطبخ . أتريد أن أريك لعبة من ألعابي
 المدهشة ؟ أتريد مني أن أعانق الهرة ؟

هي : (للهرة) وأنت يا تيليت ، ليس عندك ما تقولينه
 لي ؟

الهرة : (وقد أخرجت وهي تتكلم نياتها) ستلقيان مني
 الحب ما دتما جديرين به .
 بسملة النور : الآن جاء دوري يا عزيزي لأقبلكما للمرة
 الأخيرة .

(تيليت وميتيل يتشبثان بثياب بسملة
 النور ، كلا . كلا ، يا بسملة النور ، ابقى
 هنا معنا ، أبونا لن يعترض . وأما سنقول
 لها انك كنت في غاية الطيبة معنا .

بسملة النور : لا أستطيع مع الأسف فان هذا الباب موصد
 دوننا وينبغي لي أن أفارقكما .
 هو : وأين تذهبين وحدك ؟

بِسْمَةِ النور : غير بعيد يا عزيزي ، سأكون هناك .. في عالم الصمت .

هو : لا . لا . لا أريد فراقك ، سذهب معك ، وسنقول هذا لأمي .

بِسْمَةِ النور : لا تبكيا يا عزيزي ، ليس لي مثل ما للماء من صوت ، فليس عندى الا ضيائي وهو شيء لا يسمعه الانسان . ولكنني سأظل ساهرة على هذا الانسان الى الأبد ، واذكروا دائما انني هي من تكلمتكمهما في كل شعاع من القمر ، وفي كل بسمة من نجم ، في كل فجر يبرز ، في كل مصباح يوقد ، في كل خاطرة خيرة بريئة في قلوبكما ، (تدق الساعة خلف الجدار ثمانى دقائق) انصتا ، دقت الساعة ، فودعا ، الباب يفتح ، ادخلا ، ادخلا ، مع السلامة ، مع السلامة .

(تدفع الصبيين عبر الباب الصغير الذى يفتح ثم ينطلق عليهما . يمسح الرغيف دموعا منفلتة أما قمع السكر والماء فينخرطان في البكاء ثم يتفرق الجميع سراعا كأنهم يهربون ويخرجون الى اليمين وإلى اليسار .

يسمع نباح الكلب من ناحية ، ويظل المسرح خاليا برهة قصيرة ثم ينشق من الوسط منظر الجدار والباب الصغير ليكشف عن المنظر الأخير .

المنظر الثانى عشر البقطة

هو عين المنظر الأول ، ولكن كأنما مست
يد سحرية كل الأشياء ، الجو والجدران ،
فاذا بها تنم عن الصفاء والبشر والسعادة ،
ينفذ ضوء النهار من خصاص النافذة وينشر
البهجة ، تيلتيل وميتيل غارقان فى النوم فى
مهديهما على اليمين فى آخر الحجرة ، والكلب
والهرة وباقي الأشياء تلزم الوضع الذى
كانت عليه فى المنظر الأول قبل دخول
الجنية .

(تدخل الأم تيل) .

: (وهى تزجر الصييين فى حنوٍ واتسراح) هيا
هيا ، على أقدامكم يا كسالى ، ألا تخجلان ؟ لقد
دقت الساعة الثامنة وعلت الشمس أشجار الغابة .
يا له من نوم عميق (تقبلهما) على
وجناتهما صبغة الورد ، ويفوح منهما عطر
الزهور ، (تقبلهما مرة أخرى) ما أسعدنى
يا أولادى ! ولكن ينبغى أن لا أطيل نومكما حتى
الظهر والا شيتما على الكسل ، ثم انى سمعت أن
طول النوم مُضر بالصحة ، ها هما يستيقظان .
ماذا بك ؟ (الى تيلتيل) كأنما عشت عيناك .

الأم

هو : (وهو يفرك عينيه) أمى • أمى ، أنت التى أرى • •

الأم : نعم بالطبع ، أنا أمك ، لم يتبدّل وجهى هذه
الليلة • ماذا بك حتى تنظر الىّ بمثل هذه
الدهشة ؟ هل انقلب أنفى فأصبح تحته فوقه •

هو : ما أسعدنى برؤيتك ، كأنتى لم أرك منذ زمن
طويل • ينبغى أن أعانقك فورا ، مرة بعد مرة ،
أحقا أن هذا هو فراشى ؟ أحقا أنتى فى البيت ؟

الأم : ماذا دهالك ، ألم تستيقظ بعد ؟ هل أنت مريض ؟
دعنى أرى • اخرج لسانك ، هيا ، قم والبس
ثيابك •

هو : عجبا ، أرى أنتى لا ألبس الا قميصى •

الأم : طبعا ، أنت لا تلبس غيره عند النوم ، هيا ، البس
سترتك وسروالك ، انها هناك فوق المقعد •

هو : هل كنت ألبسها أثناء الرحلة ؟

الأم : عن أىّ رحلة تتحدث ؟

هو : رحلتى فى العام الماضى •

الأم : العام الماضى ؟

هو : نعم ، فى عيد الميلاد ، حينما خرجت من البيت •

الأم : خرجت من البيت ؟ انك لم تغادر هذه الحجيرة ،

لقد وضعتك فى الفراش أميس وها أنذا أجيدك
فيه هذا الصباح ، هل رأيت فى الحلم كل ما تقوله
لى ؟

هو

: أنت لا تفهمين ، رحلة العام الماضى حينما خرجت
مع ميتيل والجنية وبسمة النور - على فكرة ،
بسمة النور ست طيبة جدا - وكان معنا الرغيف
وقمع السكر والماء والنار ولم ينقطع بينهما
الشجار • هل أغضبك رجلي ، هل أحزنك كثيرا ،
وماذا قال أبى ؟ لم أستطع أن أرفض الرحيل
فتركت رسالة أشرح فيها ...

الأم

: ما هذا الهراء ، لا ريب أنك مريض أو أنك
لا تزال غارقا فى النوم (تربت عليه بحنان) هيا ،
استيقظ ، هل وعيت لنفسك ؟

هو

: أوكد لك يا أمى • • صدقنى ، لعلّ المستغرق
فى النوم هو أنت •

الأم

: كيف أكون مستغرقة فى النوم ، اننى مستيقظة
وأعمل منذ الساعة السادسة ، فنظفت البيت
وأشعلت النار فى المدفأة •

هو

: اسألى ميتيل وسترين أنتى لا أكذب ، كم رأيت
من مغامرات ؟

- الأم : متيل أيضا ؟ هذه حكاية طويلة •
- هو : انها كانت معي ، ورأينا جدتي وجدتي •
- الأم : جدك وجدتك ؟
- هو : في عالم الذكريات ، كان في طريقنا ، هما بين الأموات ولكن صحتهما حسنة ، وقد صنعت لنا جدتي فطيرة تفاح بديعة ورأينا أخوتنا روبر وجان ومعه نجلته ، ومادلين وبيريت وبولين ثم ريكيت •
- هي : ريكيت تحبو ولا تمشي •
- هو : أمّا بولين فدملها لا يزال على أنفها •
- هي : ورأيناك أنت أيضا يا أمي مساء أمس •
- الأم : لا عجب في ذلك فقد أرقدتكما مساء أمس •
- هو : كلا كلا ، انما رأيناك في فردوس الأرض ، وكنت أبهى جمالا ولكن شبيك لم يتغير •
- الأم : فردوس الأرض ؟ لست أعرفه !
- هو : (يتأملها ويعانقها) كنت أمس أبهى جمالا ولكني أحبك كما أنت الآن •
- هي : (تعانقها) وأنا أيضا ••
- الأم : (وقد رق لهما قلبها ولكن القلق لا يزال يساورها) يا الهي ! ماذا دهاهما ، سأفجع فيهما

كما فجمعت فى اخوتهما ، (تنزعج فجأة وتنادى)

بابا تيل ، بابا تيل ، تعال سريعا ، أولادنا مرضى •

: ماذا جرى ؟

الأب

: (يجريان اليه ويعانقانه فى فرح) هذا هو بابا ،

هذا هو بابا ، صباح الخير يا بابا ، هل كانت السنة

الماضية سنة رخاء ؟

هو وهى

: لم الانزعاج ؟ ما السبب ؟ لا أراهما مريضين ، بل

هما فى أحسن صحة •

الأب

: (وعيناها تدمعان) لا تخذعك الظواهر ، فلعلّ

حاليهما هو حال اخوتهما وقت أن فجئنا فيهم •

كانوا فى أتمّ صحة الى آخر يوم • ثم توفاهم

الله الى رحمته ، لأدرى ماذا جرى لهما ، لقد

أرقدتهما أمس فى الفراش وهما فى أحسن حال ،

فلما أيقظتهما هذا الصباح اذا هما فى أسوأ حال ،

أصابهما الهذيان ولا كلام لهما الا عن رحلة

موهومة ، رأيا خلالها بسمّة النور وجدهما

وجدتهما ، يقولان انهما بين الأموات ولكن

صحتهما حسنة •

الأم

: جدى لا تزال له ساقه الخشبية •

هو

: وجدتنى لا تزال تشكو من الروماتزم •

هى

الأم : هل سمعت • اجر لتنادى الطيب •
الأب : لا • لا • وهل هما يحتضران حتى أناديه ؟ صبرا
لنتنظر ماذا سيحدث لهما • (يسمع دق على الباب)
ادخل ••

الجارّة : صباح الخير ، وكل عيد وأنتم جميعا فى صحة
وسلامة •

هو : هذه هى الست غرباوية •
الجارّة : جئت لأخذ قليلا من الحطب ، لأطبخ عليه حساء
العيد ، فالجوّ بارد هذا الصباح ، صباح الخير
يا أطفال • كيف الحال ؟

هو : يا ست غرباوية ، لم أجد لك الطائر الأزرق •
الجارّة : ماذا يقول ؟
الأم : مصيبة يا ست غريبة ، انهما يهذيان ، هذا هو
حالهما منذ أن استيقظا ، لا شك أنهما أكلا شيئا
أضرّ بهما •

الجارّة : طيبّ يا تيليل ، ألا تعرف الست غريبة ، جارتك
الست غريبة ؟

هو : نعم أعرفك ، أنت الست غرباوية • أغاضبة أنت
منى ؟

الجارّة

: غرابوية ؟

هو

: غرابوية •

الجارّة

: تريد أن تقول غُرْبِيّة ؟

هو

: غرابوية ، غريبة ، كما تشائين ، ان كنتم فى شك

فاسألوا ميتيل •

الأم

: الداهية السوداء أن ميتيل تهذى أيضا •

الأب

: كلام فارغ ، سينقطع الهديان وسأناول كلا منهما

صفعة على خدّه لتسيهه •

الجارّة

: لاتفعل ، لالزوم للصفع ، فانى خيرة بهذه الحالة

هى أضغات أحلام تلم بكل من يرقد فى ضوء

القمر ، وابنتى المريضة حالها هكذا فى أغلب

الأوقات •

الأم

: على فكرة ، كيف حالها الآن ؟

الجارّة

: نصف نصف ، انها لا تقوى على مغادرة الفراش

ويقول الطبيب انها مسألة أعصاب ، ومع ذلك فانى

أعلم أين دواؤها وقد طلبته منى فى هذا الصباح

ليكون هديتها يوم العيد • انها على يقين من أنه

دواؤها الشافى • هكذا تحدثها نفسها •

الأم

: نعم ، أعلم يقينها هذا ، تؤمن أن لا دواء يشفيها الا

عصفور تيلتيل ، فهى لاتنك تطلبه • اذن ياتيلتيل ،

ألم تطب نفسك بعد بإهدائه الى هذه الفتاة المسكينة؟

: هو لى فكيف أهديه يا أمى ؟

هو

: هو لى ، هو لى ، ولكنك لا تعنى به • بل لا تلقى

الأم

عليه نظرة فهو من شدة الحسرة يوشك أن يموت

منذ زمن طويل •

: نبتهتى يا أمى ، الآن تذكرت عصفورى • أين

هو

هو ؟ ها هو القفص • ميتل ! أترين القفص ؟ هو

الذى كان فى يد الرغيف • نعم ، هو بعينه ،

ولكن ليس به الا عصفورى ، فأين الآخر ، الطائر

الأزرق ، هل أكله عصفورى ؟ انظرى انظرى !

يا للعجب ، فى القفص طائر أزرق ، وما هو الا

عصفورى ، هو بعينه ، وان كانت زرقته قد زادت ،

انه الطائر الأزرق الذى طالما سعينا وراءه فلم

ننجح فى اقتناصه ، على حين أنه كان موجودا فى

بيتنا طول الوقت ، هذا شىء مدهش ، هذا شىء

بديع ، ميتل ، أترين العصفور قد عرفنا الآن أنه

الطائر الأزرق • ماذا كانت تقول بسمة النور لو

رأته ؟ سأنزل القفص • (يقف على المقعد وينزل

القفص ويعطيه للجارة) • ها هو العصفور يا ست

عريّبة ، ان كان فى زرقته الآن نقص فانه

سيستكملها فيما بعد ، وسترين ، ولكن هيا ،
احمليه سريعا الى بتك •

الجارّة

: أجادت أنت ؟ حقا ما تقول ؟ تعطيه لى هبة منك ؟
من فورك ، وبلا عوض ؟ رب ، كم ستسعد هديتك
ابتى •

هو

: اذهبي بسرعة ، فبعض الطيور تبدّل أحيانا لونها •
: سأعود لأخبرك بما قالته ابتى ••

الجارّة

(تخرج) •

هو

: (يطيل التأمل فيما حوله) بابا ، ماما ، ماذا فعلتما
بالييت ؟ انه عين الييت ولكنه أكثر جمالا •

الأب

: كيف زاد جماله ؟

هو

: نعم ، كأنما دارت عليه يد بطلاء جديد ، وبالترميم
والاصلاح ، فكل شيء لامع ونظيف ، لم تكن
هذه حاله فى السنة الماضية •

الأب

: السنة الماضية ؟

هو

: (يذهب الى النافذة) وهذه الغابة التى أراها ،
ما أكبرها ، ما أجملها ، أنها تبدو لعينى كأنها غابة
جديدة أراها لأول مرة ، ما أسعدنى هنا ،
(يذهب ليفتح صندوق الخبز) أين الرغبة ؟ انه

راقد باطمئنان ، ثم أين تيلو ؟ مرحبا يا تيلو •
والعراك في الغابة • هل تذكره ؟

وتيليت عرفتني ولكنها لا تكلمني •

هى

سأكلّم الآن الرغيف ، (يلمس جبهته) عجبا ،
لم تعد المساسة معي ، فمن الذى أخذ قبعتي الصغيرة
الخضراء ؟ لا بأس ، فأني لست في حاجة اليها •
(ينظر الى المدفئة) آه ! هذه هي النار • ما ألدّ
جوارها ، انها تثرز وهي تضحك لتغيظ الماء
(يجرى الى الصنبور) يا ماء ! أهلا بك ، ماذا
تقول ؟ انها ماضية في الكلام ولكني لم أعد أفهمها
بوضوح •

هو

وأين قمع السكر فاني لا أراه •

ما أسعدني هنا • ما أسعدني •

وأنا أيضا ، وأنا أيضا •

ماذا بهما ليدورا في البيت هكذا ••

أما أنا فقد أحيت بسمة النور بالأخص ، أين
المصباح ؟ هل أستطيع أن أضيئه ؟ (وهو متماد
في التلفت حوله) كل ما أرى جميل ،
ما أسعدني !

هى

هو

هى

الأم

هو

(يسمع دقا على الباب)

الأب : ادخل •

تدخل الجارة المست غريبة ممسكة بيد
بنت صغيرة شقراء بهيئة الجمال تحضن
عصفور تيلتيل الأزرق •

الجارة : أرايتم المعجزة ؟

الأم : من يصدق ؟ انها تمشى !

الجارة : تمشى ، وتجرى ، بل ترقص •• حين رأت

العصفور نهضت من فراشها الى النافذة قفزة واحدة.
لتبين فى النور هل العصفور الذى جثها به هو
حقا عصفور تيلتيل ، واذا بها تنطلق فجأة الى
الطريق ، كأنها ملاك يطير ، لم أستطع اللحاق بها
الا بعد جهد شديد •

هو : (يقترب منها وينظر اليها دهشة) ما أشبهها
ببسمه النور !

هى : ولكنها أضال منها جسما •

هو : حقا ، غير انها ستتمو ••

الجارة : ماذا يقولان ؟ ألم يقلعا عن الهذيان ؟

الأم : هما الآن أحسن حالا وستمر الأزمة ، وسيشفئان

من الهذيان حين يتناولان الفطور •

الجارة : (تدفع ابنتها لتعانق تيلتيل) اذهبى اليه يا بنتى

واشكرىه ••

(تيلتيل يغلبه الخجل ويتراجع خطوة) •

الأم : ماذا بك يا تيلتيل ؟ أتستحي من هذه البنت الصغيرة ؟ قبلها قبله كبيرة • (يقبلها قبله صغيرة) قبلها أفضل من هذا • أين جرائك المعهودة ؟ قبله أخرى • ولكن ماذا بك ؟ كأنك ستبكي • •

(تيلتيل بعد أن يقبل الفتاة بخجل يظل واقفا أمامها برهة وجيزة ، يتبادلان النظرات فى صمت ثم يربت تيلتيل على رأس العصفور) •

هو : هل قنعت بزرقته ؟
البنت : نعم ، أنا راضية به •
هو : رأيت طيوراً أشد منه زرقة ، أما الطائر الذى كملت زرقته فلم نستطع اقتناصه رغم ما بذلناه من جهد •

البنت : لا ضير ، فعصفورى جميل •
هو : وهل أكل ؟
البنت : لم يأكل بعد ، وما أكله ؟
هو : كل شيء ، حب القمح والأذرة والشعير وفنات الخبز •

البنت : وكيف يأكل ؟ قل لى •
هو : بمنقاره ، تعالى أريك كيف يأكل •

(يمد يده ليتناول العصفور الأزرق من
يد البنت فتمانع مدفوعة بغريزة حب
التملك وينتهز العصفور الأزرق لحظة
ارتباكهما فيفلت ويطير) •

البنت

: (تندب منها صرخة يائسة) ماما ، لقد طار •

(ثم تنخرط في البكاء) •

هو

: لا تنزعجي ، لا تبكي ، فاني سأقتضه لك من جديد

(يخطو نحو مقدمة المسرح ويخاطب
الجمهور - اذا عشر عليه واحد منكم فليتكرم
بإعادته الينا فكلانا أنا والبنت الصغيرة في
حاجة اليه لننعم بالسعادة معا حين نكبر) •

(ختام)

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٧٢ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ -	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢ -	أعمدة المجتمع	هنريك إبسن
٣ -	سيرانو دى برجرأك	ادمون روستان
٤ -	مروحه ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥ -	بنيلوبى	سمرسى موم
٦ -	الغربان	هنرى بك
٧ -	اليكترا	جان جيرودو
٨ -	توركاريه	ر . لوساج
٩ -	الدائرة	سمرسى موم
١٠ -	شاترتون	الفرد ديفينى
١١ -	الأم	كارل تشابك
١٢ -	اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣ -	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤ -	سبب شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥ -	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٦ -	عزیزی بروتس	ج . م . باری
١٧ -	رجل الله	جابرئیل مارسل
١٨ -	هیدا جابلر	هنریک اېسن
١٩ -	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠ -	كنوك	جول رومان
٢١ -	جونو والطاوس	شيين أوکاسی
٢٢ -	دون جوان	موليير
٢٣ -	بيت برناردا ألبا	فدريكو غرسيه لورکا
٢٤ -	القرد الکثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥ -	مأساة الدكتور فوستس	کريستوفر مارلو
٢٦ -	الأستاذ کلينوف	کارن برامسون
٢٧ -	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨ -	ما تعرفه كل امرأة	أوسکار وایلد
٢٩ -	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس باری
٣٠ -	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١ -	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢ -	القيثارة الحديدية	جوزيف أوکونور
٣٣ -	أفكار صبيانية	نویل کوارد
٣٤ -	زوجة مستر ثانکری الثانية	آرثر وينج بنیرو
٣٥ -	عندما تبعث نحن الموتى	هنریک اېسن

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٦ -	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمار
٢٧ -	سيفريد	جان جيرودو
٢٨ -	علماء الطبيعة	فريدريش دورنمات
٢٩ -	رغبة تحت شجرة الدردار	يوجين أونيل
٤٠ -	حورية البحر	هنريك ايسن
٤١ -	جزاء خدماتهم	سومرسيت موم
٤٢ -	ابولف الصغير	هنريك ايسن
٤٣ -	بلياس وميليزاند	موريس ماترلينك
٤٤ -	الاله الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥ -	حاملة المصباح	رجنالد بركلي
٤٦ -	آل باريت	رودلف بيزيه
٤٧ -	الزفاف الدامي	فدريكو جرنثا لوركا
٤٨ -	الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩ -	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠ -	القصى	ترنتبوس أفير
٥١ -	فترة التوافق	تيسى وليامز
٥٢ -	بيرجينت	جون جلزورذى
٥٣ -	الابن الأكبر	جون جلزورذى
٥٤ -	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورنمات
٥٥ -	ديدرى فتاة الأحزان	جون ميلنجتون سبنج

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥٦ -	المسافر بلا متاع	جان انوى
٥٧ -	الحالة	المر رايس
٥٨ -	كلهم أولادى	آرثر ميلر
٥٩ -	أوندين	جونيهولد افرايم لسينج
٦٠ -	مينافون بارنهللم	جان جيروودو
٦١ -	معطف القراء	جرهارت هاوبتمان
٦٢ -	كرنقال الأشباح	موريس دو كوبرا
٦٣ -	« هو » الذى يصفع	ليونيد أندرييف
٦٤ -	فتى الغرب المدلل	جون ملنجتون سينج
٦٥ -	قواعد المبارزة	لويجى بيراند
٦٦ -	عرفوا ما يريدون	سيدنى هوارد
٦٧ -	المحراث والنجوم	شون اركيس
٦٨ -	أميديه	ارجين ينسكو
٦٩ -	المسامر	جون أوسبورن
٧٠ -	أجـازة	فيليب بارى
٧١ -	الجنوب	جوليان جرين

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : مؤسسة الخانجى بالقاهرة

وتطلب من المكتبة القومية • ميدان عرابى « القاهرة »

ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

الشركة المصرية للطباعة

حسن مذكور وأولاده

٣. شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة

تليفون ٥١٥٧١ — ٤٨٩٢١